التقوى من مفاتيح الرزق

قال تعالى: {وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ} [الطلاق: ٢ - ٣].

(أحبتي في الله)

إن تقوى الله سبب لتفريج الكُرَب والخَلاص من مضار الفقر بل إن تقوى الله من أجل الأسباب لسعة الرزق بل إن يقين المسلم وتقواه يدفعان عنه الخواطر الشيطانية التي تثبطه عن التقوى والخوف من الله يحقق وعد الله إياه بأن يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب.

فكل مَن اتقى الله تعالى، ولازم مرضاة الله في جميع أحواله، فإن الله يثيبه في الدنيا والآخرة. ومن جملة ثوابه أن يجعل له فرجًا ومخرجًا من كل شدة ومشقة، وكما أن مَن اتقى الله جعل له فرجًا ومخرجًا، فمَن لم يتق الله، وقع في الشدائد والآصار والأغلال، التي لا يقدر على التخلص منها والخروج من تبعتها.

{وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ} [الطلاق: ٣]، أي: يسوق الله الرزق للمتقي، من وجه لا يحتسبه ولا يشعر به.

[التحرير والتنوير - تيسير الكريم الرحمن].

* * *

تعريف الصحابة للتقوى

قيل: يا بن مسعود! ما معنى التقوى؟ قال:

[أن يُطاع فلا يُعصى، وأن يُذكر فلا يُنسى، وأن يُشكر فلا يُكفر] أن يطاع الله فلا يعصى، هذا حق تقواه عز وجل، وأن يذكر فلا ينسى، وأن يشكر فلا يكفر، فمن كفر نعمة الله فما اتقى الله، ومن عصى الله فما اتقاه سُبحَانَهُ وَتَعَالَى، ومن نسيه سُبحَانَهُ وَتَعَالَى، أنساه الله نفسه، ومستقبله، وولده، وبيته، وأسرته، ومكتبه، ومنصبه في الحياة الدنيا وفي الآخرة، ولذلك يقول عز من قائل: {وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ۝٢٨١} [البقرة: ٢٨١].

وقف أمير المؤمنين أبو الحسن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأرضاه، وهو - كما يقول ابن كثير - في عهده (بعد موت عثمان) أزهد الناس، وأخشى الناس، وأعلم الناس؛ لأنه تربية رسول الله ﷺ ، وقف على منبر الكوفة، فسئل عن التقوى؟ قال: [هي الخوف من الجليل، والعمل بالتنزيل، والرضا بالقليل، والاستعداد ليوم الرحيل] اسمع لكلمات النور وحرارة الإيمان التي بعثها جيل محمد ﷺ في قلوب الناس، هي الخوف من الجليل، والجليل هو الله، والعمل بالتنزيل، فالذي يتقي الله ثم لا يعرف ماذا يتقي ولا تكون تقواه على بصيرة من الكتاب والسنة ما اتقى الله.

والرضا بالقليل، ألا تكون الدنيا أكبر همك، بل ترضى منها ما يكفيك؛ كالمسافر إذا أراد سفراً، والاستعداد ليوم الرحيل، هذا هو تعريفها عند علي رضي الله عنه وأرضاه.

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وهو يسأل عن التقوى، وقبل أن نأتي لسؤال عمر نقف مع عمر وقفة قصيرة:

عمر أحياه الله عز وجل وولد مرة ثانية في الحياة الدنيا، لأنه - كما أسلفت - أن مولد الكافر مولداً واحد، لكن موته مرتين، فعمر عاش رضي الله عنه قبل أن يسلم في الجاهلية لم يكن يعرف إلى أين يتجه ولماذا يعيش؟ كما يعيش كثير من الناس اليوم.

كثير من الناس اليوم يعيشون على الطعام والشراب، وعلى المنام والكلام، ولكنهم لا يعرفون معنى الحياة، يظنون أنها كأس، ومتعة، ولهو، وغناء، وطرب، وبعد عن الله عز وجل.

فلما أراد الله أن يحيي قلب عمر رضي الله عنه.

أتى رسول الله ﷺ بذاك القول العظيم بكتاب الله الكريم، فسمع عمر رضي الله عنه قوله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى: {طه ﴿١﴾ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ } [طه: ١ - ٢].

فاهتز لهذه الكلمات وسقطت كل ذرة من ذرات الشرك من جسمه، وأتى إيماناً كاملاً من أخمص قدميه إلى مشاش رأسه، فذهب

ليبايع الرسول ﷺ، وانضم إلى هذا الموكب الكريم الذي يتصل أول سنده بنوح عليه السلام، وآخر السند بمحمد ﷺ إلى آخر مؤمن إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

(يقول الشيخ الشعراوى رحمه الله)

(فإذا كان اللباس المادي فيه مواراة وستر لفضوح الدنيا، فإن لباس التقوى يواري عنا فضوح الآخرة. أو لباس التقوى هو الذي تتقون به أهوال الحروب؛ إنّه خير من لباس الزينة والرياش لأنكم تحمون به أنفسكم من القتل، أو ذلك اللباس - لباس التقوى - خير من اللباس المادي وهو من آيات الله، أي من عجائبه، وهو من الأشياء اللافتة؛ فالإنسان منكم مكون من مادة لها احتياجات مادية وعورات مادية، وهناك أمور قيمية لا تنتظم الحياة إلا بها، وقد أعطاك الحق مقومات الحياة المادية، وزينة الحياة المادية، وأعطاك ما تحيا به في السلم والحرب، ومنهج التقوى يحقق لك كل هذه المزايا). [انتهى من تفسير الشعراوي].

* * *

حفظ الجوارح من تمام التقوى

القلب ملك الأعضاء:

- أحبتى في الله -

قال تعالى: {إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا} [الإسراء: ٣٦].

الفؤاد هو القلب، وهو لهذه الأعضاء كالملِك المتصرف في الجنود؛ فكلها تحت مشيئته وقهره؛ تكتسب منه الزيغ والاستقامة، كما أخبر رسول الله ﷺ: «ألا وإنَّ في الجسدِ مُضغَةً إذا صلحتْ صلحَ الجسدُ كلُّهُ، وإذا فسدتْ فسدَ الجسدُ كلُّهُ؛ ألا وهي القلبُ» انظر فتح الباري (١/ ١٢٦).

يقول د. خالد الجبير:

وكما أن القلب لأعضاء الجسم هو الملك المتصرف فيها؛ إذا صلح معنويًا صلحت باقي أعضاء الجسم وجوارحه، كذلك إذا مرض القلب

عضويًا، وأصيب بأحد الأمراض التي تؤثر على وظيفته؛ فإن باقي أعضاء الجسم الأخرى تتأثر، فالرئة تمتلئ بالماء وتتأثر وظيفتها، ويتضخم الكبد وتتأثر وظيفته، وكذلك الكلى قد تتوقف، وتقل الهمة، وتزيد الغمة، وتتورم الأطراف، وينتفخ البطن، ويجهد المخ.. إذًا هو تأثير القلب؛ الذي هو فعلاً ملك الأعضاء، والمسيطر على صحتها؛ (إذا صلح صلحت، وإذا فسد فسدت) انتهى من محاضرة أمراض القلوب.

* * *

[صلاح القلب]

(قلت)

ومن هنا كان الحرص على سلامة القلب؛ فإنه دليل النجاة.

{يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ} [الشعراء: ٨٨ - ٨٩].

قال الفخر الرازي: [في هذا الاستثناء وجوه: أحدها: أنه إذا قيل لك: هل لزيد مال وبنون؟ فتقول: مالُه وبنوه سلامة قلبه؛ تريد نفي المال والبنين عنه وإثبات سلامة القلب له بدلاً عن ذلك، فكذا في هذه الآية. وثانيها: أن نحمل الكلام على المعنى ونجعل (المال والبنين) في معنى (الغنى)؛ كأنه قيل: يوم لا ينفع غنى إلا غنى مَن أتى الله بقلب سليم؛ لأن غنى الرجل في دينه بسلامة قلبه، كما أن غناه في دنياه بماله وبنيه. وثالثها: أن نجعل (مَن) مفعولاً لـ (ينفع)، أي لا ينفع مال ولا بنون إلا رجلاً سلم قلبه مع ماله؛ حيث أنفقه في طاعة الله تعالى، ومع بنيه حيث أرشدهم إلى الدين، ويجوز على هذا: {إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾} [الشعراء: ٨٩] مِن فتنة المال والبنين.

أما (السليم) فالمراد منه سلامة القلب عن الجهل والأخلاق الرذيلة؛ وذلك لأنه كما أن صحة البدن وسلامته عبارة عن حصول ما ينبغي من المزاج والتركيب والاتصال، ومرضه عبارة عن زوال أحد تلك الأمور؛ فكذلك سلامة القلب عبارة عن حصول ما ينبغي له وهو العلم والخلق الفاضل، ومرضه عبارة عن زوال أحدهما.. فقوله: {إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾} أنْ يكون خاليًا عن العقائد الفاسدة والميل إلى شهوات الدنيا ولذاتها.

فإن قيل: فظاهر هذه الآية يقتضي أن مَن سلم قلبه كان ناجيًا، وأنه لا حاجة فيه إلى سلامة اللسان واليد.. جوابه: أن القلب مؤثر، واللسان والجوارح تبع؛ فلو كان القلب سليمًا لكانا سليمين لا محالة، وحيث لم يسلما ثبت عدم سلامة القلب. من كتاب مفاتيح الغيب للرازي.

قلت: [والقلب السليم هو الذي قد صارت السلامة صفة ثابتة له، وهو ضد المريض والسقيم والعليل. وقد اختلفت العبارات في معنى القلب السليم. والأمر الجامع لذلك: أنه الذي قد سلم مِن كل شهوة تخالف أمر الله ونهيه، ومِن كل شبهة تعارض خبره؛ فسلم من عبودية ما سواه، وسلم من تحكيم غير رسوله ﷺ ا.هـ.

وقد جاء في كتاب إغاثة اللهفان أن القلب السليم هو الذي سلم من أن يكون لغير الله فيه شرك بوجه ما، بل قد خلصت عبوديته لله تعالى: إرادة ومحبة، وتوكلاً وإنابة، وإخباتًا وخشية ورجاءً.. وخلص عمله لله؛ فإن أحب أحب في الله، وإن أبغض أبغض في الله، وإن أعطى أعطى لله، وإن منع منع لله.. ولا يكفيه هذا حتى يسلم من الانقياد والتحكيم لكل مَن عدا رسوله ﷺ ؛ فيعقد قلبه معه عقدًا محكمًا على الائتمام والاقتداء به وحده دون كل أحد في الأقوال والأعمال من أقوال القلب؛ وهي العقائد، وأقوال اللسان؛ وهي الخبر عما في القلب، وأعمال القلب؛ وهي الإرادة والمحبة والكراهة وتوابعها، وأعمال الجوارح.. فيكون الحاكم عليه في ذلك كله؛ هو ما جاء به الرسول ﷺ.

قال بعض السلف: ما مِن فعلة وإنْ صغرت، إلا يُنشر لها ديوانان: لِمَ..؟ وكيف..؟

أي: لِمَ فعلتَ؟ وكيف فعلتَ؟ فالأول: سؤال عن علة الفعل وباعثه وداعيه: هل هو حظ عاجل من حظوظ العامل، وغرض من أغراض الدنيا في محبة المدح من الناس، أو خوف ذمهم، أو استجلاب محبوب عاجل، أو دفع مكروه عاجل، أم الباعث على الفعل القيام بحق العبودية، وطلب التودد والتقرب إلى الرب سبحانه وتعالى، وابتغاء الوسيلة إليه..؟ ومحل هذا السؤال: أنه هل كان عليك أن تفعل هذا الفعل لمولاك، أم فعلته لحظك وهواك؟؟ والثاني: سؤال عن متابعة الرسول ﷺ في ذلك التعبد؛

أي: هل كان ذلك العمل مما شرعتُه لك على لسان رسولي، أم كان عملاً لم أشرعه، ولم أرضه؟؟

فالأول سؤال عن الإخلاص، والثاني عن المتابعة؛ فإن الله سبحانه لا يقبل عملاً إلا بهما.. وطريق التخلص من السؤال الأول بتجريد الإخلاص، وطريق التخلص من السؤال الثاني بتحقيق المتابعة، وسلامة القلب من إرادة تعارض الإخلاص، وهوى يعارض الاتباع.. فهذا حقيقة سلامة القلب الذي ضُمنت له النجاة والسعادة] [إغاثة اللهفان (بتصرف يسير)].

(قلت)

وفي القرآن مواضع متكررة فيها هذا الارتباط بين صلاح القلوب واستقامتها على هدى الله، وبين تيسير الأرزاق وعموم الرخاء.. جاء في موضع: {وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ} [المائدة: ٦٥ - ٦٦].

وجاء في موضع: {وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ} [هود: ٣].

وهذه القاعدة التي يقررها القرآن في مواضع متفرقة، قاعدة صحيحة تقوم على أسبابها من وعد الله، ومن سنة الحياة؛ كما أن الواقع العملي يشهد بتحققها على مدار القرون. (انتهى)

قال أبو سعيد الخدري: ومَن يبرأ مِن حوله وقوته بالرجوع إلى الله؛ يجعل له مخرجا مما كلفه بالمعونة له. وتأول ابن مسعود ومسروق الآية على العموم، وقال أبو ذر: قال النبي ﷺ: «إني لأعلم آية لو أخذ بها الناس لكفتهم»، وتلا: {وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ} [الطلاق: ٢ - ٣]، فما زال يكررها ويعيدها.

وقال ابن عباس: مخرجًا من شبهات الدنيا، ومن غمرات الموت، ومن شدائد يوم القيامة.

قال الزجاج: إذا اتقى وآثر الحلال والتصبر على أهله؛ فتح الله عليه إن كان ذا ضيقة، ورزقه مِن حيث لا يحتسب.

[من كتاب الجامع لأحكام القرآن - الظلال].

وقد قيل لأحد الصالحين: إن الأسعار قد ارتفعت، فقال: أنزلوها بالتقوى؛ في إشارة منه لقوله تعالى:{وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ} [الأعراف: ٩٦].

والله جل وعلا يضمن للخليقة جمعاء رزقها فضلا منه لا وجوبا عليه، ووعدا منه حقا، فهو لم يخلق الخلق ليضيعهم:{وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾} [هود: ٦].

وعن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: " إن رُوحَ القُدُسِ نَفثَ في رُوعِي أنَّ نفسًا لن تموتَ حتى تستكملَ رزقَها، ألا فاتقوا الله وأجمِلوا في الطلبِ، ولا يحملنكم استبطاءُ الرزقِ أنْ تطلبوه بمعاصي الله؛ فإنه لا يُدرَكُ ما عندَ الله إلا بطاعتِهِ ". [أخرجه الحاكم وابن حبان، وحسنه الألباني].

فإن العبد إذا أيقن أن الرزق بيد الله، وأنه آتيه لا محالة تفرغ لأداء المهمة التي خلقه الله من أجلها؛ وهي العبادة بمفهومها الشامل. وحينئذ يمكنه أن يقول الحق ولا يخشى في الله لومة لائم؛ فلا يخشى فصلا من عمل، أو طردا من وظيفة، أو حرمانا من تجارة؛ فرزقه عند الله لا محالة.

وهو عندما يبذل سببا للحصول على الرزق؛ يبذله وهو عزيز النفس رافع الرأس، فليس لأحد منة عليه، بل المنة والفضل لله جميعا.

والله جل وعلا عندما قسم الأرزاق جعل بينها تفاوتا:{إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾} [الإسراء: ٣٠].

ولو أعطى الله الخلق فوق حاجتهم من الرزق لحملهم ذلك على البغي والطغيان:{وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٧﴾} [الشورى: ٢٧].

إنه سبحانه وتعالى يرزق عباده بالقدر الذي فيه صلاحهم، فيُغني من لا يُصلحه إلا الغنى، ويَقْدِر على مَن لا يُصلحه إلا الفقر؛ بحكمته وعدله جل وعلا:{لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ

بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٢﴾} [الشورى: ١٢].

والرزق مكتوب للعبد وهو في بطن أمه: " إنَّ أحدَكم يُجمعُ خلقُه في بطنِ أمِّه أربعينَ يومًا، ثم يكونُ علقةً مثلَ ذلك، ثم يكونُ مُضغةً مثلَ ذلك، ثم يبعثُ اللهُ إليهِ مَلَكًا، ويُؤمَرُ بأربعِ كلماتٍ، ويُقالُ له: اكتبْ عملَه ورزقَه وأجلَه، وشقيٌّ أو سعيدٌ، ثمَّ يُنفخُ فيه الروحُ ". [رواه البخاري ومسلم].

قلت: فوالله الذي لا إله إلا هو، لو اجتمعت الدنيا كلها، بقضِّها وقضيضها، وجيوشها ودولها، وعسكرها وملوكها وأرادوا أن يمنعوا رزقا قدره الله لك، ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً، ولو أرادوا أن يسقوك شربة ماء، لم يكتبها الله لك، فإنك ستموت قبل هذه الشربة.

* * *

[من أسباب التقوى]

الصيام من أكبر أسباب التقوى وحقيقة التقوى اتخاذ ما يقي سخط الله وعذابه بامتثال أوامره واجتناب نواهيه وإعداد الصوم لتقوى الله يظهر من وجوه كثيرة، منها: أنه يعود الإنسان الخشية من ربه في السر والعلن، إذ أن الصائم لا رقيب عليه إلا ربه، فإذا ترك الشهوات التي تعرض له من أكل نفيس، وشراب عذب، وفاكهة يانعة، وزوجة جميلة امتثالاً لأمر ربه شهرًا كاملاً، ولولا ذاك لما صبر عنها وهو في أشد الشوق إليها، فحري بمن يتكرر منه ذلك أن يتعود الحياء من ربه والمراقبة له في أمره ونهيه، وفي ذلك تكميل له وضبط للنفس عن شهواتها وشدة مراقبتها لبارئها فمما اشتمل عليه الصيام في التقوى: أن الصائم يترك ما حرم الله عليه من الأكل والشرب والجماع ونحوها التي تميل إليها نفسه متقربًا بذلك إلى الله راجيًا بتركها ثوابه.

ومنها: أن الصيام يضيق مجاري الشيطان، فإنه يجري من ابن آدم مجرى الدم؛ ولهذا ثبت في الصحيحين: «**يا معشر الشباب، من استطاع منكم الباءة فليتزوج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء**».

رواه البخاري في النكاح برقم ٤٦٧٧، ومسلم في النكاح برقم ٢٤٨٥، والترمذي في النكاح برقم ١٠٠١.

ومنها: أن الغني إذا ذاق الجوع فربما أوجب له ذلك مواساة الفقراء، وهذه من خصال التقوى.

* * *

obeikandl.com

التوحيد من أسباب التقوى

من فضائل التوحيد:

التوحيد هو السبب الأعظم لتفريج كربات الدنيا والآخرة.

التوحيد الخالص يثمر الأمن التام في الدنيا والآخرة.

يحصل لصاحبه الهدى الكامل والتوفيق لكل أجر وغنيمة.

يغفر الله بالتوحيد الذنوب ويكفر به السيئات.

يُدخل الله به الجنة.

التوحيد يمنع دخول النار بالكلية إذا كمل في القلب.

يمنع الخلود في النار إذا كان في القلب منه أدنى حبة.

التوحيد هو السبب الأعظم في نيل رضا الله وثوابه.

جميع الأعمال متوقفة في قبولها وفي كمالها على كمال التوحيد.

يُسهل على العبد فعل الخيرات وترك المنكرات.

التوحيد إذا كمل في القلب حبب الله لصاحبه الإيمان.

التوحيد يخفف عن العبد المكاره ويهوِّن عليه الآلام.

يحرِّر العبد من رق المخلوقين والتعلق بهم.

التوحيد إذا كمل في القلب وتحقق يصير به القليل.

تكفَّل الله لأهل التوحيد بالفتح، والنصر في الدنيا.

* * *

الله عز وجل يدافع عن الموحدين

(أحبتى في الله)

إن التوحيد وظيفة المسلم في هذه الحياة فيبدأ حياته بالتوحيد ويودعها بالتوحيد، ووظيفته في الحياة إقامة التوحيد، والدعوة إلى التوحيد، لأن التوحيد يوحد المؤمنين ويجمعهم على كلمة التوحيد. فنسأل الله أن يجعل التوحيد آخر كلامنا.

* * *

من بعض فضائل التوحيد

١ -... قال الله تعالى: {ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾} [الأنعام: ٨٢].

... عن عبد الله بن مسعود قال: لما نزلت هذه الآية شق ذلك على المسلمين، وقالوا أينا لا يظلم نفسه؟ فقال رسول الله ﷺ: «ليس ذلك، إنما هو الشرك، ألم تسمعوا قول لقمان لابنه: {يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ} [لقمان: ١٣]».

صحيح: أخرجه أحمد (٣٧٨/١) (٣٥٨٩) قال: حدثنا أبو معاوية. وفي (٤٢٤/١) (٤٠٣١) قال: حدثنا ابن نمير. وفي (٤٤٤/١) (٤٢٤٠) قال: حدثنا وكيع. والبخاري (١٥/١) قال: حدثنا أبو الوليد، قال: حدثنا شعبة (ح) وحدثني بشر بن خالد أبو محمد العسكري، قال حدثنا محمد بن جعفر، عن شعبة. وفي (١٧١/٤)

فهذه الآية تبشر المؤمنين الموحدين الذين لم يلبسوا إيمانهم بشرك، فابتعدوا عنه، أن لهم الأمن التام من عذاب الله في الآخرة، وأولئك هم المهتدون في الدنيا.

٢ -... وقال ﷺ: (الإيمان بضع وستون شعبة، فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق).

٣ -... جاء في كتاب (دليل المسلم في الاعتقاد والتطهير) لفضيلة الشيخ عبدالله خياط ما يلي: التوحيد يسبب السعادة ويكفر الذنوب، المرء بحكم بشريته وعدم عصمته قد تنزلق قدمه، ويقع في معصية الله، فإذا كان من أهل التوحيد الخالص من شوائب الشرك، فإن توحيده لله، وإخلاصه في قول لا إله إلا الله، يكون أكبر عامل في سعادته وتكفير ذنوبه ومحو سيئاته، كما جاء في الحديث عن رسول الله ﷺ: (من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وأن عيسى عبدالله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، والجنة حق، والنار حق، أدخله الله الجنة على ما كان من العمل).... أي أن جملة هذه الشهادات التي يشهدها المسلم بهذه الأصول تستوجب دخوله الجنة دار

النعيم، وإن كان في بعض أعماله مآخذ وتقصيرات، كما جاء في الحديث القدسي: قال الله تعالى: (يا ابن آدم إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً أتيتك بقرابها مغفرة).

نواقض لا إله إلا الله:

على المسلم أن يتعلم هذه النواقض حتى لا يقع فيها، فيخرج من الإسلام الذي أكرمه الله به، فيموت كافراً، وأهم هذه النواقض: -

١ -... دعاء غير الله كدعاء الأنبياء أو الأولياء الأموات أو الأحياء الغائبين لقول الله تعالى: { وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾ } [يونس: ١٠٦] - أي المشركين -.

... وقوله ﷺ : (من مات وهو يدعو من دون الله نداً دخل النار) - الند: المثيل والشريك -.

٢ -... اشمئزاز القلب من توحيد الله، ونفوره من دعائه والاستغاثة به وحده، وانشراح القلب عند دعاء الرسل أو الأولياء الأموات أو الأحياء الغائبين، وطلب المعونة منهم لقوله تعالى عن المشركين: { وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٥﴾ } [الزمر: ٤٥].

... (وتنطبق الآية على الذين يحاربون من يستعين بالله وحده ويقولون عنه وهابي، إذا علموا أن الوهابية تدعو للتوحيد).

٣ -... الذبح لرسول الله أو ولي لقول الله تعالى: { فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴿٢﴾ } [الكوثر: ٢]، أي اذبح لربك، وقوله ﷺ : «لعن الله من ذبح لغير الله».

٤ -... النذر لمخلوق على سبيل التقرب والعبادة له، وهي لله وحده، قالت امرأة عمران: { إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا } [آل عمران: ٣٥].

٥ -... الطواف حول القبر بنية التقرب والعبادة له، وهو خاص بالكعبة، لقول الله تعالى: {وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ} [الحج: ٢٩].

٦ -... الاعتماد والتوكل على غير الله، لقول الله تعالى: {فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ} [يونس: ٨٤].

٧ -... الركوع أو السجود بنية العبادة للملوك أو العظماء الأحياء أو الأموات إلا أن يكون جاهلاً لأن الركوع والسجود عبادة لله وحده.

٨ -... إنكار ركن من أركان الإسلام المعروفة كالصلاة والزكاة والصوم والحج، أو إنكار ركن من أركان الإيمان: وهي الإيمان بالله وملائكته ورسله واليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره، وغير ذلك مما هو معلوم من الدين بالضرورة.

٩ -... كراهية الإسلام، أو كراهية شيء من تعاليمه في العبادات أو المعاملات، أو الاقتصاد، أو الأخلاق لقوله تعالى:{ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٩﴾} [محمد: ٩].

١٠ -... الاستهزاء بشيء من القرآن، أو الحديث الصحيح، أو بحكم من أحكام الإسلام، لقوله تعالى:{ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾} [التوبة: ٦٥ - ٦٦].

١١ -... إنكار شيء من القرآن الكريم، أو الأحاديث الصحيحة مما يوجب الردة عن الدين إذا تعمد ذلك عن علم.

١٢ -... شتم الرب أو لعن الدين أو سب الرسول ﷺ ، أو الاستهزاء بحاله، أو نقد ما جاء به مما يوجب الكفر.

١٣ -... إنكار شيء من أسماء الله، أو صفاته، أو أفعاله الثابتة في الكتاب والسنة الصحيحة من غير جهل ولا تأويل.

١٤ -... عدم الإيمان بجميع الرسل الذين أرسلهم الله لهداية الناس، أو انتقاص أحدهم لقوله تعالى:{لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ} [البقرة: ٢٨٥].

(أحبتي في الله)

إن التقوى خير الزاد يوم التلاق وسبب النجاة وجالبة الأرزاق وأعظم أسباب التقوى التوحيد وهو أساس الإيمان ومفتاح الجنان ومغلاق النيران.

قال السرى رحمه الله: صحبت زنجيا في البرية فرأيته كلما ذكر الله

تغير لونه وابيض فقلت ياهذا أرى عجبا فقال يا أخى أما إنك لو ذكرت الله تغيرت صفتك.

قال الحكيم الترمذى رحمه الله: ذكر الله يرطب اللسان فإذا خلا عن الذكر اصابته حرارة النفس ونار الشهوة فتعس ويبس وامتنعت الأعضاء عن الطاعة كالشجرة اليابسة لا تصلح إلا للقطع وتصير وقود النار وبالتوحيد تحصل الطهارة التامة عن لوث الشرك فالنفس تدعو مع الشيطان إلى أسفل السافلين والله تعالى يدعو بلسان نبيه إلى أعلى عليين وقد دعا الانبياء كلهم فقبحوا الأوثان والشرك والدنيا وحسنوا عبادة الله والتوحيد والرغبة في حب الآخرة ورغبوا إلى الشكر والطاعة في الدنيا التي هى الساعة بل كلمح البصر لا يرى لها أثر ولا يسمع لها خبر فالعاقل يستمع إلى الداعى الحق ولايكذب الخبر الصدق فيصل بالتصديق والقبول والرضى إلى الدرجات العلى والراحة العظمى. (من كتاب تفسير روح البيان)

* * *

العدل من أسباب التقوى

(القضاة ثلاثة قاضيان في النار وقاض في الجنة: قاض قضى بالهوى فهو في النار وقاض قضى بغير علم فهو في النار وقاض قضى بالحق فهو في الجنة) فيه إنذار عظيم للقضاة التاركين للعدل والأعمال والمقصرين في تحصيل رتب الكمال قالوا: والمفتي أقرب إلى السلامة من القاضي لأنه لا يلزم بفتواه والقاضي يلزم بقوله فخطره أشد فيتعين على كل من ابتلي بالقضاء أن يتمسك من أسباب التقوى بما يكون له جنة ويحرص على أن يكون الرجل الذي عرف الحق فقضى به وكان المخصوص من القضاة الثلاثة بالجنة ويجعل داء الهوى عنه محسوما ولحظه ولفظه بين الخصوم مقسوما ولا يألُ فيما يجب من الاجتهاد إذا اشتبه عليه الأمران ويعلم أنه إن اجتهد وأخطأ فله أجر وإن أصاب فله أجران وصوب الصواب

واضح لمن استشف بنور الله برهانه ويتوكل على الله في قصده ويتقي فإن الله يهدي قلبه ويثيب لسانه (من فيض القدير).

* * *

obeikandl.com

[من أسباب التقوى]

- محبة الله -

ولا شك في أن الاشتغال بهذه الأسباب الجالبة للمحبة مما يشغل القلب بطاعة الله ويبعده عن المعاصى، ثم إذا كملت المحبة فإن المحب لا يعصى محبوبه كما قيل:

تعصى الإله وأنت تزعم حبه ::: هذا لعمرى في القياس شنيع
لو كان حبك صادقاً لأطعته ::: إن المحب لمن يحب مطيع

وإذا فتح للعبد هذا الباب الشريف، ودخل هذا القصر المنيف، فإنه تحبب إليه الطاعات

ويجد فيها منتهى راحته وسعادته.

قال النبى ﷺ : (وجعلت قرة عينى في الصلاة)

أخرجه أحمد ١٢٨/٣، ١٩٩، والنسائي (٣٩٤٩)، والحاكم ١٦٠/٢، من حديث أنس، رضي الله عنه. وقال الحافظ: إسناده حسن. وانظر التلخيص الحبير ١١٦/٣، وصحيح سنن النسائي (٣٦٨٠).

وكان يصلى حتى ترم ساقاه وتشقق قدماه فيقال له في ذلك فيقول ﷺ : (أفلا أكون عبداً شكوراً)

البخاري في التهجد، باب قيام النبى ﷺ حتى ترم قدماه ٣٨٠/١ (١٠٧٨).

فمحبة الله عز وجل من أعظم أسباب التقوى.

كما قال القائل:

وكن لربك ذا حب لتخدمه إن المحبين للأحباب خدام

فإن المحب يسر بخدمة محبوبه وطاعته، ولا تطاوعه نفسه على معصيته كما قال بعض الصالحين: إنى لا أحسن أن أعصى الله. أى أن جوارحه لا تأتى معه في المعصية، لمحبتها للطاعات، وبغضها للمعاصى.

كما نصحت إحدى الصالحات من السلف بنيها فقالت لهم:

" تعودوا حب الله وطاعته فإن المتقين ألفت جوارحهم الطاعة فاستوحشت من غيرها، فإذا أمرهم الملعون بمعصية، مرت المعصية بهم محتشمة فهم لها منكرون ".

فنسال الله الغنى الكريم أن يمن علينا بمحبته وأن يوفقنا لأسباب فضله ورحمته.

٢ - ومما يعين على تقوى الله عز وجل أن يدرب العبد نفسه على المراقبة وأن يستشعر اطلاع الله عز وجل عليه فيستحى عند ذلك من المعصية ويجتهد في الطاعة:

قال الله تعالى: {وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} [الحديد: ٤].

قال ابن كثير رحمه الله: أى رقيب عليكم شهيد على أعمالكم حيث كنتم وأين كنتم، من بر أو بحر، في ليل أو نهار، في البيوت أو القفار، الجميع في علمه على السواء، وتحت بصره وسمعه فيسمع كلامكم، ويرى مكانكم، ويعلم سركم ونجواكم، أ.هـ.

* * *

نصائح للمتقين

وقال سيفان بن عيينة: الحياء أخف التقوى، ولا يخاف العبد حتى يستحى، وهل دخل أهل التقوى إلا من الحياء (من استحيا من الله حق الحياء فليحفظ الرأس) أى رأسه (وما وعى): ما جمعه من الحواس الظاهرة والباطنة، وحتى لا يستعملها إلا فيما يحل (وليحفظ البطن وما حوى) أى: وما جمعه الجوف باتصاله به من القلب والفرج واليدين والرجلين،

فإن هذه الأعضاء متصلة بالجوف فلا يستعمل منها شيء في معصية الله، فإن الله ناظر إلى العبد لا يواريه شيء.

وعن أسامة بن شريك رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ : (ما كرهت أن يراه الناس منك فلا تفعله بنفسك إذا خلوت).

وعن ثوبان رضى الله عنه قال:

قال رسول الله ﷺ : (لأعلمن أقواماً من أمتى يأتون يوم القيامة بحسنات أمثال جبال تهامة بيضاء فيجعلها الله هباء منشورا، أما إنهم إخوانكم، ومن جلدتكم، ويأخذون من الليل كما تأخذون، ولكنهم قوم إذا خلوا بمحارم الله انتهكوها).

أخرجه ابن ماجه (١٤١٨/٢، رقم ٤٢٤٥)، قال المنذرى (١٧٠/٣): رواته ثقات. وقال البوصيرى (٢٤٦/٤): هذا إسناد صحيح رجاله ثقات. وأخرجه أيضًا: الرويانى (٤٢٥/١، رقم ٦٥١).

وعن أنس رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : (ثلاث مهلكات وثلاث منجيات: فقال: ثلاث مهلكات: شح مطاع، وهوى متبع، وإعجاب المرء بنفسه. وثلاث منجيات: خشية الله في السر والعلانية، والقصد في الفقر والغنى، والعدل في الغضب والرضا).

قال المناوى: قدم السر لأن تقوى الله فيه أعلى درجة من العلن لما يخاف من شوب رؤية الناس، وهذه درجة المراقبة وخشيته فيهما تمنع من ارتكاب كل منهى، وتحثه على فعل كل مأمور، فإن حصل للعبد غفلة عن ملاحظة خوفه وتقواه فارتكب مخالفة مولاه لجأ إلى التوبة ثم داوم الخشية.

وسئل النبى ﷺ عن الإحسان في الحديث المسمى بأم السنة فقال ﷺ : (أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك).

البخاري: الإيمان (٥٠)، ومسلم: الإيمان (٩)، والنسائي: الإيمان وشرائعه (٤٩٩١)، وابن ماجه: المقدمة (٦٤)، وأحمد (٤٢٦/٢).

قال النووى رحمه الله: " هذا من جوامع الكلم التي أوتيها ﷺ ، لأنا لو قدرنا أن أحداً قام في عبادة وهو يعاين ربه سبحانه وتعالى، لم يترك شيئاً ما يقدر عليه من الخضوع والخشوع وحسن السمت واجتماعه بظاهره وباطنه على الاعتناء بتتميمها على أحسن وجوهها إلا أتى به).

بل هو إشارة إلى أن من شق عليه أن يعبد الله كأنه يراه فليعبد الله على أن الله يراه ويطلع عليه فليستحى من نظره إليه، كما قال بعض

العارفين: اتق الله أن يكون أهون الناظرين إليك.

وقال بعضهم: خف الله على قدر قدرته عليك واستحى من الله على قدر قربه منك.

وصفوة الكلام أن يقال: مما يعين على التقوى التدرب على مراقبة الله عز وجل وإحساس القلب بقربة وإطلاعه، فيستحى العبد عند ذلك من المعصية ويبذل جهده في أداء الطاعة على أحسن وجوهها.

وهذه بعض الأثار في تقرير هذا المعنى:

ذكر عن أعرابى قال: خرجت في بعض ليالى الظلم فإذا أنا بجارية كأنها علم فأردتها عن نفسها فقالت: ويلك أما كان لك زاجر من عقل إذا لم يكن لك ناهٍ من دين؟

فقلت: إنه والله ما يرانا إلا الكواكب، فقالت: فأين مكوكبها.

وسئل الجنيد بم يستعان على غض البصر؟ قال: بعلمك أن نظر الله إليك أسبق إلى ما تنظر إليه.

وقال الحارث المحاسبى: المراقبة علم القلب بقرب الرب.

وكان الإمام أحمد ينشد:

إذا مـــا خلـــوت الـــدهر يومـــاً ::: فلا تقل خلوت ولكن قل على رقيب
ولا تحســـبن الله يغفـــل ســـاعة ::: ولا أن مـــا يخفـــى عليـــه يغيـــب

٣ - ومما يعين على التقوى معرفة ما في سبيل الحرام من المفاسد والآلام فليس في الدنيا والآخرة شر وداء إلا وسببه الذنوب والمعاصى.

قال ابن القيم رحمه الله: فما الذي أخرج الأبوين من الجنة دار اللذة والنعيم والبهجة والسرور إلى دار الآلام والأحزان والمصائب.

وما الذي أخرج إبليس من ملكوت السماء، وطرده ولعنه ومسخ ظاهره وباطنه فجعلت صورته أقبح صورة وأشنعها، وباطنه أقبح من صورته وأشنع وبدل بالقرب بعداً، وبالرحمة لعنة، وبالجنة ناراً تلظى، فهان على الله غاية الهوان، وسقط من عينه غاية السقوط، فصار قوداً لكل فاسق ومجرم، رضى لنفسه بالقيادة بعد تلك العبادة والسيادة، فعياذاً

بك اللهم من مخالفة أمرك، وارتكاب نهيك.

- ومما يعين على التقوى أن تتعلم كيف تغالب هواك وتطيع مولاك.

قال الشيخ مصطفى السباعي رحمه الله: " إذا همت نفسك بالمعصية فذكرها بالله، فإذا لم ترجع فذكرها بأخلاق الرجال، فإذا لم ترجع فذكرها بالفضيحة إذا علم الناس، فإذا لم ترجع فاعلم أنك تلك الساعة انقلبت إلى حيوان ".

وقال ابن القيم رحمه الله: " وملاك الأمر كله الرغبة في الله وإرادة وجهه والتقرب إليه بأنواع الوسائل والشوق إلى الوصول إليه، وإلى لقائه، فإن لم يكن للعبد همة على ذلك فالرغبة في الجنة ونعيمها وما أعد الله فيها لأوليائه، فإن لم تكن له همة عالية تطالبه بذلك، فخشية النار وما أعد الله فيها لمن عصاه، فإن لم تطاوعه نفسه لشيء من ذلك، فليعلم أنه خلق للجحيم لا للنعيم، ولا يقدر على ذلك بعد قدر الله وتوفيقه إلا بمخالفة هواه. فلم يجعل الله طريقا إلى الجنة غير متابعته، ولم يجعل للنار طريقاً غير مخالفته.

قال الله تعالى: {فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾} [النازعات: ٣٧ - ٤١].

وقال تعالى: {وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾} [الرحمن: ٤٦].

قيل: هو العبد يهوى المعصية فيذكر مقام ربه عليه في الدنيا ومقامه بين يديه في الأخرة فيتركها لله.

وقد أخبر الله عز وجل أن اتباع الهوى يضل عن سبيله فقال الله تعالى: {يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ} [ص: ٢٦].

وقد حكم الله تعالى لتابع هواه بغير هدى من الله أنه

أظلم الظالمين فقال الله عز وجل: {فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ} [القصص: ٥٠].

* * *

obeikandl.com

وقفات مع المتقين

وقفات مع عمر

أتى عمر رضي الله عنه وانصبغ بهذا الدين، حتى إنه كان يقف على المنبر يوم الجمعة، وبطنه تقرقر من الجوع، وهو خليفة تحت يديه الذهب والفضة وكنوز الدنيا، ويقول لبطنه:

[قرقري أو لا تقرقري والله لا تشبعي حتى يشبع أطفال المسلمين].

يقول ابن كثير: ثبت عن عمر رضي الله عنه أنه مرض شهراً كاملاً لما سمع قوله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى: {وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ ﴿٢٤﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ﴿٢٥﴾ بَلْ هُمُ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ ﴿٢٦﴾} [الصافات: ٢٤ - ٢٦]، لكن عمر رضي الله عنه في بردته البالية، وبعصاه، وبخوفه الذي يعيش فيه، اهتز له كسرى وقيصر فرقاً وخوفاً؛ لأنه خاف الله، ومن خاف الله خوف الله منه كل شيء، ومن لم يخف الله خاف من كل شيء، ولذلك يقول الأول:

يا من يرى عمراً تكسوه بردته ::: والزيت أدم له والكوخ مأواه
يهتز كسرى على كرسيه فرقاً ::: من خوفه وملوك الروم تخشاه

يوم كنا نخاف الله، خوّف الله منا كل شيء، كانت ترهبنا الدنيا، وتخافنا المعمورة، ويدين لنا الكفرة، ويسلم لنا المعاندون، وتضعف أمامنا الجيوش الجرارة؛ لأنا خفنا الله.

* * *

مع سعد بن أبي وقاص

وهذا سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، لما اتقى الله وكان قائد جيش المسلمين في مواجهة كسرى، جاء كسرى بثلاثمائة ألف مقاتل، وجاء سعد بثلاثين ألفا. ثلاثون ألفاً مقابل ثلاثمائة ألف، فلما تلاقى الجمعان، أرسل سعد أحد شباب الإسلام، ألا وهو ربعي بن عامر، ذلك الشاب في الثلاثين من عمره، لا يملك من الدنيا شيئاً إلا ثوبه الذي عليه والرمح الذي بيده، والفرس التي يركبها، لكنه يملك أكبر طاقة في الحياة

الدنيا وفي الآخرة، طاقة لا إله إلا الله، وطاقة أنه يعرف الله، ويريد وجه الله، فدخل ربعي على رستم، فلما رآه رستم ضحك وضحك وزراء رستم الكافر الذي ما عرف الله طرفة عين.

فقال لـ ربعي: أجئتم تفتحون الدنيا بهذا الفرس المعقور، وبهذا الرمح المثلم، وبهذه الثياب الممزقة، فرفع ربعي رأسه الذي رفعه محمد ﷺ.

فقال ربعي: [نعم، ابتعثنا الله، لنخرج العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الآخرة، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام] وكانت الواقعة، ونصر الله جنوده الذين كانوا يسجدون له، ويركعون له ويسبحون بحمده، وهزم الله أعداءه الكفرة الملاحدة الفجرة.

ودخل سعد رضي الله عنه وقد فر كسرى صاحب الإمبراطورية العاتية، الذي ظن أنها لا تهزم أبد الدهر، فلما دخل سعد ورأى إيوان كسرى، إيوان العدوان، والظلم، والبغي، والفجور، قال سعد: الله أكبر، فانصدع الإيوان، انصدع كما يقول أهل السير، فدمعت عينا سعد فرحاً بموعود الله، وقال: {كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴿٢٨﴾ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ ﴿٢٩﴾} [الدخان: ٢٥ - ٢٩].

لما اتقينا الله رفع الله - سُبحَانَهُ وَتَعَالَى - رءوسنا في القرون المفضلة، ونصرنا ومهد لنا الدنيا، وأعلى ذكرنا ورفع شامتنا، فلما داخلتنا المعاصي، داخلتنا الذلة، وأصبحنا منزوين مستضعفين مستذلين، أصبح هم الواحد منا - إلا من رحم الله - أن يملأ بطنه، وأن يقضي شهوة فرجه، وأن يسكن بيتاً وارفاً، وأن يركب سيارة فاخرة، أهذه أمنيات المسلم؟!

أهذا هو الطموح الذي يريده الله ويريده رسول الله ﷺ ؟! لا والله!!

مع عبد الله بن عمرو الأنصاري

كان يأتي الصحابي من صحابة الرسول ﷺ قبل المعركة يقول لأهله: أستودعكم الله الذي لا تضيع ودائعه، لن أعود إليكم بعد اليوم، فعل ذلك كثير منهم، ومنهم: عبد الله بن عمرو الأنصاري، أحد الشباب الأخيار في

المعركة الفاصلة بين الكفر والإيمان، التي شحذ لها أبو سفيان ثلاثة آلاف مقاتل، فلما التقوا في أحد في المدينة خرج أصحاب الرسول ﷺ ، وخرج معهم عبد الله بن عمرو الأنصاري واغتسل في صباح ذلك اليوم، وتطيب ولبس أكفانه، وأخذ سيفه، وقال لبناته: [أستودعكن الله الذي لا تضيع ودائعه، لا لقاء معكم إلا في جنة عرضها السماوات والأرض] فلما أتى موعود الله وعلم الله عز وجل أن هؤلاء النفر يريدون وجهه، رزق الله هذا الرجل الشهادة في سبيله، قال ابنه جابر: رأيت أبي وقد قُطِّع أمام الرسول ﷺ في معركة أحد. قال جابر: فجعلت أكشف عن وجهه وأبكي فقال لي رسول الله: (تبكيه أو لا تبكيه ما زالت الملائكة تظلله بأجنحتها حتى رفعتموه).

أخرجه أحمد ٣ / ٢٩٨، والبخاري (١٢٤٤) في الجنائز: باب الدخول على الميت بعد الموت، و(٤٠٨٠) في المغازي: باب من قتل من المسلمين يوم أحد، ومسلم (٢٤٧١) (١٣٠) في فضائل الصحابة: باب من فضائل عبد الله بن عمرو بن حرام.

وفي تفسير ابن كثير بسند صحيح: أن الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى كلَّم هؤلاء النفر الشهداء - عبد الله بن عمرو وغيره من الشهداء - وقال: تمنوا علي - يقول: كلمهم الله بلا ترجمان مباشرة، قال: تمنوا علي - قالوا: نتمنى أن تعيدنا إلى الدنيا فنقتل فيك ثانية؟! لما وجدوا من طعم الشهادة ورفعتها وأجرها ومثوبتها - قال: إني كتبتُ على نفسي أنهم إليها لا يرجعون فتمنوا!! قالوا: نتمنى أن ترضى عنا فإنا قد رضينا عنك، قال: فإني قد أحللت رضاي عليكم فلا أسخط عليكم أبداً، قال الراوي: قال ﷺ : (فأخذ الله أرواحهم، فجعلها في حواصل طير خضر، ترد مياه الجنة فتشرب من أنهارها، وتأكل من ثمارها، وتأوي إلى قناديل معلقة في العرش، حتى يرث الله الأرض ومن عليها).

يا لتلك التقوى التي عاشها أولئك النفر الصالح البار الراشد، الذي رباه محمد ﷺ على سمع وبصر.

قال أحد الصالحين: يا بني لا تصاحب ثلاثة، قال: من هم يا أبتاه؟ قال: لا تصاحب الفاجر لأن الفاجر ملعون في السماء معلون في الأرض

فكيف تصاحب الملعون؟ ولا تصاحب عاق الوالدين لأن عقوق الوالدين يدخل معه قبره، ولا تصاحب الكذاب لأن الكذاب يقرب لك البعيد ويبعد عليك القريب، إذا نبحث عن صاحب التقوى ومن يخاف الله.

- ومن هنا يتبين لنا أن التقوى من أسباب الرزق لأن ما عند الله لا ينال إلا بطاعته وتقواه.

- أسأل الله أن يجعلنا وإياكم من عبادة المتقين (آمين).

* * *

من مفاتيح الرزق: الاستغفار والتوبة

أيها الإخوة والأخوات.

إذا كثُر الاستغفار في الأمة وصدَر عن قلوبٍ بربّها مطمئنة دفع الله عنها ضروباً من النقم، وصرَف عنها صنوفًا من البلايا والمحن.

{وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾} [الأنفال: ٣٣].

روى الترمذي من حديث أبي موسى رضي الله عنه يرفعه إلى النبي أنه قال: «أنزل الله على أمتي أمانين»، فذكر الآية: {وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾} [الأنفال: ٣٣]، قال: «فإذا مضيتُ تركتُ فيهم الاستغفار» (٣).

بالاستغفار تتنزَّل الرحمات: {لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} [النمل: ٤٦].

أيها الإخوة، إن هناك صلةً قويّة بين طهارة الفرد والمجتمع من الذنوب والخطايا وقضاءِ الحاجات وتحقيقِ الرغبات، هناك ارتباطٌ متين بين القوة والثروة وبين الاستغفار.

الاستغفارُ جالبٌ للخَصب والبركة وكثرة النسل والنماء. الاستغفارُ مصدرٌ للعزة والمنعة، اقرؤوا إن شئتم في خبر نوح عليه السلام: {فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾} [نوح: ١٠ - ١٢].

وفي خبر عاد الشداد مع نبيهم هود عليه السلام: {وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ} [هود: ٥٢].

المستغفرون يمتّعهم ربّهم متاعاً حسناً من سعةِ الرزق وبسطِ الأمن ومدِّ العافية ورغَد العيش والقناعة بالموجود وعدَم الحزن على المفقود. بالاستغفار يبلُغ كلُّ ذي منزل منزلته، وينال كلُّ ذي فضل فضلَه، اقرؤوا إن شئتم في خبر نبيّكم محمد: {وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ} [هود: ٣].

في الاستغفار - بإذن الله - الفرجُ من كلّ همّ، والمخرجُ من كلّ ضيق، ورزقُ العبد من حيث لا يحتَسب، في الحديث: «من لزم الاستغفارَ جعلَ الله له من كلِّ همّ فرجًا، ومن كلّ ضيقٍ مخرجًا، ورزقه من حيث لا يحتسب».

إن الاستغفارَ الحقَّ صدقٌ في العزم على ترك الذنب، والإنابةُ بالقلوب إلى علام الغيوب. إن الخيرَ كلّه معلّق بصلاح القلوب وقبُول الإيمان، وحينئذ يأتي الغفران: {إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِى قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} [الأنفال: ٧٠].

ألا فاتقوا الله رحمكم الله، اتقوا الله ربَّكم، وتوجَّهوا إليه بقلوبكم، وأحسنوا به الظنّ. ارجعوا على أنفسكم بالمحاسبة، ومن صدَق في اللجوء صحَّت عنده التوبة. جانِبوا أهلَ الفحش والتفحُّش، ومجالسةَ أصحابِ الرَّدى، ومماراةَ السفهاء. احفَظوا للناس حقوقَهم: {وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ} [الأعراف: ٨٥].

- أحبتي في الله -

لا تفسد الأحوالُ ولا تضطربُ الأوضاعُ إلا بطغيان الشهوات واختلاط النيات واختلاف الغِيَر والمداهنات، لا يكون الفسادُ إلا حينَ يُترَك للناس الحبلُ على الغارب، يعيشون كما يشتهون، بالأخلاق يعبثون، وللأعراض ينتهكون، ولحدود الله يتجاوَزون، من غير وازعٍ ولا رادع، ولقد تقرَّر عند أهل العلم بما صحَّ من الأخبار عن رسول الله أنَّ منعَ

الزكاة وأكلَ الحرام وتركَ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أسبابٌ خاصة في منع القطر من السماء وعدم إجابة الدعاء. إذا كثُر الخبثُ استحقَّ القومُ الهلاكَ، وبكثرة الخبثِ تُنتقَص الأرزاق، وتُنزَع البركات، وتفشو الأمراض، وتضطرب الأحوال.

إنَّ للمعاصي شؤمَها، وللذنوب أثرها، فكم أهلكَت من أمَم، وكم دمَّرت من شعوب،: {وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿١١﴾} [الأنبياء: ١١].

جاء رجل إلى الحسن فشكا إليه الجَدْب، فقال: استغفر الله، وجاء آخر فشكا الفقر، فقال له: استغفر الله، وجاء آخر فقال: ادع الله أن يرزقني ولدا، فقال: استغفر الله، فقال أصحاب الحسن: سألوك مسائل شتى وأجبتهم بجواب واحد وهو الاستغفار؟ فقال رحمه الله: ما قلت من عندي شيئا، إن الله يقول: {فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾} [نوح: ١٠ - ١٢].

وقال تعالى: {وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ} [هود: ٣].

(أحبتي في الله)

[هذه الآية الكريمة تدل على أن الاستغفار والتوبة إلى الله تعالى من الذنوب سبب لأن يمتع الله مَن فعل ذلك متاعًا حسنًا إلى أجل مسمى؛ لأنه رتب ذلك على الاستغفار والتوبة ترتيب الجزاء على شرطه.

والظاهر أن المراد بالمتاع الحسن سعة الرزق، ورغد العيش، والعافية في الدنيا، وأن المراد بالأجل المسمى: الموت].

[أضواء البيان]

[وقد ابتلينا في العصر الحديث بالغفلة والشك، وذهبنا نظن أنَّ هذا الكلام ومثله إنما أريد به مجرد الترغيب والترهيب، لا أنه حقيقة واقعة، وقانون صادق.. ابتلينا بهذا فخسرنا كل شيء.. وقد كان سلفنا الصالح يفطنون إليها، ويوقنون بخيرها، ويستفتحون أبواب السماء بسرها؛

فيسعفهم الله بما يريدون..

رُوِي أنَّ السماء أمسكت، والأرض أجدبت على عهد عمر بن الخطاب؛ فخرج مع الناس ليستسقي لهم، فاستغفر عمر ربه هنيهة، ثم عاد بالناس! فقالوا له: ما نراك استسقيت لنا؟! قال: لقد طلبت لكم الغيث بمجاديح [1] السماء التي يُستنزَل بها المطر].

* * *

[قصة فيها عبرة]

ذكر ابن قُدامة في كتاب " التوابين " أنه: لحق بني إسرائيل قحطٌ على عهد موسى؛، فاجتمع الناس إليه فقالوا: يا كليم الله! ادْعُ لنا ربك أنْ يسقينا الغيث. فقام معهم، وخرجوا إلى الصحراء وهم سبعون ألفًا أو يزيدون. فقال موسى؛: إلهي! اسقنا غيثك، وانشر علينا رحمتك، وارحمنا بالأطفال الرضَّع، والبهائم الرُّتَّع، والمشايخ الرُّكَّع.. فما زادت السماء إلا تقشعًا، والشمس إلا حرارة.. فقال موسى: إلهي! إن كان قد خَلَق جاهي عندك؛ فبجاه النبي الأمي محمد الذي تبعثه في آخر الزمان.. فأوحى الله إليه: ما خَلَقَ جاهك عندي؛ وإنك عندي وجيه، ولكن فيكم عبد يبارزني منذ أربعين سنة بالمعاصي؛ فنادِ في الناس حتى يخرج مِن بين أظهركم؛ فبه منعتُكم..! فقال موسى: إلهي! وسيدي! أنا عبد ضعيف، وصوتي ضعيف؛ فأين يبلغ؛ وهم سبعون ألفًا أو يزيدون؟ فأوحى الله إليه: منك النداء، ومني البلاغ.. فقام مناديًا وقال: يا أيها العبد العاصي الذي يبارز الله منذ أربعين سنة! اخرج مِن بين أظهرنا؛ فبك مُنعنا المطر..! فقام العبد العاصي، فنظر ذات اليمين وذات الشمال، فلم يَرَ أحدًا خرج؛ فعلم أنه المطلوب.. فقال في نفسه: إنْ أنا خرجتُ مِن بين هذا الخلق افتضحتُ على رءوس بني إسرائيل.. وإنْ قعدتُ معهم مُنعوا لأجلي! فأدخل رأسه في ثيابه نادمًا على فعاله، وقال: إلهي! وسيدي! عصيتُك أربعين سنة

---

(١) أراد عمر - رضي الله عنه - إبطال الأنواء والتكذيب بها؛ فجعل الاستغفار هو الذي يُستَسقَى به لا المجاديح والأنواء التي كانوا يستسقون بها. والمَجاديحُ واحدها مِجْدَحٌ وهو نجم من النجوم كانت العرب تزعم أنه مُمْطِر به. [لسان العرب].

وأمهلتني، وقد أتيتُك طائعًا؛ فاقبلني.. فلم يستتم الكلام حتى ارتفعت سحابة بيضاء فأمطرت كأفواه القِرَب.. فقال موسى: إلهي! وسيدي! بماذا سقيتَنا، وما خرج مِن بين أظهرنا أحد؟! فقال: يا موسى! سقيتُكم بالذي به مَنعتُكم! فقال موسى: إلهي! أرني هذا العبد الطائع. فقال: يا موسى! إني لم أفضحه وهو يعصيني، أأفضحه وهو يطيعني؟! أ.هـ من كتاب التوابين لابن قدامة.

* * *

لماذا نستغفر الله؟

نستغفر الله: لأن النبي ﷺ قال «والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون فيستغفروا الله تعالى فيغفر لهم» رواه مسلم

نستغفر الله: لأننا أصحاب خطايا وذنوب فكل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون.

نستغفر الله: لأن إبليس عليه اللعنة قال وعزتك وجلالك لأغوينهم ما دامت أرواحهم في أجسادهم والله برحمته وعفوه وكرمه يقول:

«وعزتي وجلالي لأغفرن لهم ما داموا يستغفروني».

سبحان الله القائل: {قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾} [الزمر: ٥٣].

قل - أيها الرسول - لعبادي الذين تمادَوا في المعاصي، وأسرفوا على أنفسهم بإتيان ما تدعوهم إليه نفوسهم من الذنوب: لا تَيْئَسوا من رحمة الله؛ لكثرة ذنوبكم، إن الله يغفر الذنوب جميعًا لمن تاب منها ورجع عنها مهما كانت، إنه هو الغفور لذنوب التائبين من عباده، الرحيم بهم.

نستغفر الله:

لأن الله أمر أكرم الخلق عليه بحبيبنا محمد ﷺ أن يستغفر.

قال تعالى: {فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴿١٩﴾} [محمد: ١٩].

ولقد حثنا المصطفى ﷺ: على الاستغفار والتوبة فقال: «أيها الناس

توبوا إلى الله واستغفروا فإني أستغفر الله في اليوم أكثر من مائة مرة وفي رواية سبعين مرة» رواه البخاري

يقول أبو هريرة - رضي الله عنه -: (ما رأيت أكثر استغفاراً من رسول الله ﷺ).

أخي المسلم يا عبد الله

كم نصيبك من الاستغفار في اليوم والليلة إذا كان حبيب الله ورسوله المغفور له ما تقدم من ذنبه وما تأخر يستغفر الله في اليوم أكثر من مائة مرة.

وها هو عبد الله بن عمر يقول: كنا نعد للنبي ﷺ في المجلس الواحد مائة مرة يقول رب اغفرلي وتب علي إنك أنت التواب الرحيم. عبد الله كن من: {ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٦﴾ ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ} [آل عمران: ١٦ - ١٧].

نستغفر الله ونتوب إلى الله:

لأننا محتاجون إلى رحمة الله ومغفرته وعفوه قال تعالى: {لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} [النمل: ٤٦].

نستغفر الله:

لأننا محتاجون للغيث والأمطار وما انقطعت الأمطار وأجدبت الأرض إلا بالذنوب والمعاصي ولن يأتي الغيث من رب السماء إلا بالتوبة والاستغفار.

نستغفر الله ونتوب إلى الله:

لأن منا من قطع الصلاة وتهاون بها لأن منا من حلف بغير الله وحلف كاذبة الإيمان المغلظة.

لأن منا من تعامل بالربا وباع واشترى غشا.

لأن منا من سكت عن قول الحق وخاف من مخلوق مثله.

لأننا ما أمرنا بالمعروف وما نهينا عن المنكر لأن منا من عق والديه

وقطع الرحم، وسل لسانه على إخوانه بالغيبة والنميمة والسخرية والاستهزاء.

دخل رجل على الحسن البصري يشكو قلة الأمطار والجدب فقال: أكثر من الاستغفار.

وجاء رجل آخر يشكو الفقر فقال أكثر من الاستغفار.

وجاء رجل آخر يشكو قلة الولد فقال له كثر من الاستغفار.

فسأله أحد تلامذته مستعجبا من الإجابة الواحدة للثلاثة الأسئلة فقال: أما قرأت قول الله تعالى: {فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾} [نوح: ١٠ - ١٢].

وعن مورّق قال: كان رجل يعملُ السيئات، فخرج إلى البرية، فجمع ترابًا، فاضطجع عليه مستلقيًا، فقال: ربِّ اغفر لي ذنوبي، فقال: إنَّ هذا ليعرفُ أنَّ له ربًا يغفرُ ويُعذب، فغفر له.

* * *

حقيقة الإستغفار

وأما استغفارُ اللسان مع إصرار القلب على الذنب، فهو دُعاء مجرَّد إن شاء الله أجابه، وإن شاء ردَّه.

وقد يكون الإصرار مانعًا من الإجابة. وفي (المسند) من حديث عبد الله ابن عمرو مرفوعًا: «ويلٌ للذين يصرُّون على ما فعلوا وهم يعلمون».

قال الضحاك: ثلاثةٌ لا يستجاب لهم، فذكر منهم: رجل مقيم على امرأة زنى كلما قضى شهوته، قال: ربِّ اغفر لي ما أصبتُ من فلانة، فيقول الربُّ: تحول عنها وأغفر لك، فأما ما دمت مقيمًا عليها، فإنِّي لا أغفر لك، ورجلٌ عنده مالُ قوم يرى أهله، فيقول: ربِّ اغفر لي ما آكل من مال فلان، فيقول تعالى: ردَّ إليهم مالهم وأغفر لك، وأما ما لم تردَّ إليهم فلا أغفر لك.

قال بعض العارفين: من لم يكن ثمرةُ استغفاره تصحيح توبته، فهو

كاذب في استغفاره. وكان بعضُهم يقول: استغفارُنا هذا يحتاج إلى استغفارٍ كثير.

فأفضل الاستغفار ما اقترن به تركُ الإصرار، وهو حينئذ توبةٌ نصوح، وإن قال بلسانه: أستغفر الله وهو غيرُ مقلع بقلبه، فهو داعٍ لله بالمغفرة، كما يقول: اللهمَّ اغفر لي، وهو حسن وقد يُرجى له الإجابة.

(أفضل أنواع الاستغفار):

وأفضل أنواع الاستغفار: أن يبدأ العبد بالثَّناء على ربِّه، ثم يثني بالاعتراف بذنبه، ثم يسأل الله المغفرة. وبالجملة فدواءُ الذنوبِ الاستغفارُ.

أيها المسلمون بالاستغفار تدفع النقم والمحن والبلايا قال تعالى: {وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ} [الأنفال: ٣٣].

فالله وضع لهذه الأمة أمانان من العذاب في الدنيا:

فالأمان الأول وجود الرسول ﷺ.

والأمان الثاني الاستغفار.

فبالاستغفار تزول الهموم وتفرج الكروب، ففي الحديث الصحيح عن ابن عباس عن النبي ﷺ : حيث قال: «من لزم الاستغفار جعل له من كل هم فرجا ومن كل ضيقا مخرجا ورزقه من حيث لا يحتسب».

وبالاستغفار والتوبة تنال القوة والتمكين للمؤمنين

قال تعالى: {وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا۟ مُجْرِمِينَ} [هود: ٥٢].

ويا قوم اطلبوا مغفرة الله والإيمان به، ثم توبوا إليه من ذنوبكم، فإنكم إن فعلتم ذلك يرسل المطر عليكم متتابعًا كثيرًا، فتكثر خيراتكم، ويزدكم قوة إلى قوتكم بكثرة ذرياتكم وتتابع النِّعم عليكم، ولا تُعرضوا عما دعوتكم إليه مصرِّين على إجرامكم.

وبالاستغفار يتيسر العسير وتزول المصيبة، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (إني لأمر بالمسألة فتستعصي علي فأستغفر الله وأستغفر الله

وأستغفر الله فيفتح الله علي).

(أحبتي في الله) :

يروى عن لقمان عليه السلام أنه قال لابنه: يابني عوِّد لسانك اللهم اغفرلي فإن لله ساعات لا يرد فيها سائلاً.

قال قتادة: أيها الناس إن هذا القران يدلكم على دوائكم ودائكم فأما داؤكم فالذنوب وأما دواؤكم فالاستغفار.

وقال الحسن البصري: أكثروا من الاستغفار في بيوتكم وعلى موائدكم وفي طرقكم وفي أسواقكم وفي مجالسكم فإنكم لا تدرون متى تنزل المغفرة.

فالاستغفار سمة المؤمنين كلما أذنبوا وأساءوا استغفروا ورجعوا إلى الله لأنه وحده الغافر، قال تعالى: {وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾} [آل عمران: ١٣٥].

والذين إذا ارتكبوا ذنبًا كبيرًا أو ظلموا أنفسهم بارتكاب ما دونه، ذكروا وعد الله ووعيده فلجأوا إلى ربهم تائبين، يطلبون منه أن يغفر لهم ذنوبهم، وهم موقنون أنه لا يغفر الذنوب إلا الله، فهم لذلك لا يقيمون على معصية، وهم يعلمون أنهم إن تابوا تاب الله عليهم.

عباد الله: الاستغفار ليس للعاصين فقط بل لأصحاب الطاعات فالمصلون بعد إتمام الصلاة الخاشعة المطمئنة يستغفروا من كل نقص وزلل في الصلاة، وبعد رحلة الحج العظيمة والطواف والسعي ورمي الجمار

قال تعالى: {ثُمَّ أَفِيضُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٩﴾} [البقرة: ١٩٩].

وبعد أن من الله على نبيه بالنصر والتمكين والفتح المبين أمره بالإستغفار، قال تعالى: {إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ

تَوَّابًا ﴿٣﴾} [النصر: ١ - ٣].

قال أبو ذر: لكل داء دواء ودواء الذنوب الاستغفار.

وقالت عائشة: طوبى لمن وجد في صحيفته يوم القيامة استغفار.

واعلموا أيها المسلمون أنه ليس كل من يستغفر يغفر له إلا بعد التوبة النصوح وعدم الإصرار على الذنب، فلا صغيرة مع الإصرار ولا كبيرة مع الاستغفار.

يقول الله تعالى في الحديث القدسي:

(ياعبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعا فاستغفروني أغفر لكم).

وإن من واسع فضل الله على العباد أنه يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل، وأنه تعالى يغفر الذنوب كلها، فعلى العبد ألا يقنط من رحمة ربه وإن عظمت ذنوبه وكثرت آثامه، فقد قال عز وجل:{وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ} [الحجر: ٥٦].

وروى الترمذي وغيره عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قال الله تعالى: يا ابن آدم، إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي، يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء، ثم استغفرتني غفرت لك ولا أبالي، يا ابن آدم، إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيك بقرابها مغفرة»، رواه الترمذي.

والملك العظيم جلا وعلا ينزل إلى السماء الدنيا كل ليلة نزولا يليق بجلاله وكماله فيقول هل من داع فأستجيب له هل من مستغفر فأغفر له هل من صاحب حاجة فأقضيها له.

إلهي أنت الذي تهب الكثير

وتجبر القلب الكسير وتغفر الزلات

وتقول هل من تائبٍ مستغفرٍ

أو سائل أقضي له الحاجات

(أحبتى في الله)

علمنا النبي ﷺ الاستغفار وهو دعاء من قاله حين يصبح ثلاثا فمات من يومه دخل الجنة ومن ليلته كذلك.

* * *

obeikandl.com

شرح حديث سيد الاستغفار

" اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء لك بنعمتك علي وأبوء بذنبي فاغفرلي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت ".

اللهم أنت ربي إقرار بأن الله هو المدبر المالك لكل شؤونه المحتاج إليه على الدوام

لا إله إلا أنت: إقرار بالوحدانية وهو وحده المستحق للطاعة والحب والخضوع.

خلقتني وأنا عبدك، فالله هو الذي خلق وهو الذي يرزق.

أبوء لك بنعمتك علي: أعترف بنعمتك علي بالليل والنهار عافيتني، سترتني، آويتني، هديتني، أمنتني، وفقتني فكيف لا أشكرك.

وأبوء بذنبي: أعترف وأقر بخطئي.

فاغفر لي: سامحني اعف عني استرني فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت فلا ملجأ من الله إلا إليه ولا أمل إلا فيه جل وعلا

فضل الاستغفار:

عن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه أنه قال: إني كنت إذا سمعت حديثاً من رسول الله ﷺ نفعني الله منه ما يشاء أن ينفعني.

وإذا حدثني أحد من الصحابة استحلفته فإذا حلف لي صدقته وإنه حدثني أبو بكر وصدق أبو بكر أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «ما من عبد مؤمن أو قال ما من رجل يذنب ذنباً فيقوم فيتطهر ثم يصلي ركعتين ثم يستغفر الله إلاّ غفر الله له ثم قرأ هذه الآية: {وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾} [آل عمران: ١٣٥]» أخرجه الترمذي وأبو داود والترمذي وقال هذا حديث قد رواه غير واحد عن عثمان بن المغيرة فرفعوه ورواه مسعر وسفيان عن عثمان بن المغيرة فوقفاه ولم يرفعا ولا يعرف لأسماء إلاّ هذا الحديث عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال: «من

لزم الاستغفار جعل الله له من كل ضيق مخرجاً ومن كل هم فرجاً ورزقه من حيث لا يحتسب» أخرجه أبو داود، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ : «والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون فيغفر لهم».

* * *

فضل الاستغفار للوالدين

- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُوْلُ الله ﷺ : «إِنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ لَيَرْفَعُ الدَّرَجَةَ لِلْعَبْدِ الصَّالِحِ فِي الْجَنَّةِ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ! أَنَّى لِي هَذِهِ؟ فَيَقُولُ: بِاسْتِغْفَارِ وَلَدِكَ لَكَ» (١).

فَضْل الاسْتِغْفَار لِلْمُؤْمِنِيْن

- عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُوْلَ الله ﷺ يَقُولُ: «مَنِ اسْتَغْفَرَ لِلْمُؤْمِنِيْنَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، كَتَبَ اللهُ لَهُ بِكُلِّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ حَسَنَةً» (٢).

فَضْل الاسْتِغفَار قَبْلَ الْقِيَام مِنَ الْمَجْلِس

- عَنْ جُبَيْر بْنِ مُطْعِم رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُوْلُ الله ﷺ : «مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ الله وَبِحَمْدِهِ سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ، فَإِن قَالَهَا فِي مَجْلِسِ ذِكْرٍ كَانَتْ كَالطَّابِعِ يُطْبَعُ عَلَيْهِ، وَمَنْ قَالَهَا فِي مَجْلِسِ لَغْوٍ كَانَتْ كَفَّارَةً لَهُ» (٣).

- عَنْ أَبِي بَرْزَةَ الأَسْلَمِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ رَسُوْلُ الله ﷺ يَقُولُ بِأَخَرَةٍ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَقُومَ مِنَ الْمَجْلِسِ: «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ أَشْهَدُ

---

(١) أحمد [١٠٦١٨]، تعليق شعيب الأرنؤوط " إسناده حسن من أجل عاصم بن أبي النجود وهو ابن بهدلة وباقي رجاله ثقات رجال الصحيح "، تعليق الألباني " حسن "، صحيح الجامع [١٦١٧]، الصحيحة [١٥٩٨].

(٢) مسند الشاميين [٢١٥٥]، تعليق الألباني " حسن "، صحيح الجامع [٦٠٢٦].

(٣) مستدرك الحاكم [١٩٧٠] كتاب الدعاء والتكبير والتهليل والتسبيح والذكر، واللفظ له، تعليق الحاكم " هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه "، سنن النسائي الكبرى [١٠٢٥٧]، تعليق الألباني " صحيح "، صحيح الجامع [٦٤٣]، الصحيحة [٨١].

أَنْ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ». فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ! إِنَّكَ لَتَقُولُ قَوْلاً مَا كُنْتَ تَقُولُهُ فِيمَا مَضَى؟ قَالَ: «كَفَّارَةٌ لِمَا يَكُونُ فِي الْمَجْلِسِ» (١).

(ذكر العلامة ابن باز رحمه الله كلاما نفيسا في فضل الاستغفار - قال الشيخ رحمة الله:

وورد في فضل الاستغفار والحث عليه آيات كثيرة، وأحاديث كثيرة منها حديث أبي سعيد رفعه: " قال إبليس: يا رب لا أزال أغويهم ما دامت أرواحهم في أجسادهم. فقال الله تعالى: وعزتي لا أزال أغفر لهم ما استغفروني " أخرجه أحمد، وحديث أبي بكر الصديق رفعه: " ما أصر من استغفر ولو عاد في اليوم سبعين مرة " أخرجه أبو داود والترمذي وذكر السبعين للمبالغة، وإلا ففي حديث أبي هريرة الآتي في التوحيد مرفوعا " أن عبدا أذنب ذنبا فقال رب إني أذنبت ذنبا فاغفر لي فغفر له " الحديث " وفي آخره: " علم عبدي أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ به، اعمل ما شئت فقد غفرت لك ".

- انتهى من كتاب فتح البارى تعليق شيخنا ابن باز رحمه الله -.

- أسأل الله أن يجعلنا وإياكم من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه إنه أرحم الراحمين جواد كريم.

* * *

من مفاتيح الرزق التوبة

(أحبتى في الله)

إن من أفضل مفاتيح الرزق التي يطرقها العبد بينه وبين الله سبحانه هو التوبة إليه والرضا على ما قدره الله تبارك وتعالى على العبد في الغنى والفقر

وإن من بركات التوبة أن الله تبارك وتعالى يبارك في رزق التائب إليه كيف لا وإن العبد ليذنب الذنب فيحرم الرزق بسببه وإن من رحمة الله تبارك وتعالى أنه يقبل التوبة.

(١) أبو داود [٤٨٥٩] باب في كفارة المجلس، تعليق الألباني " حسن صحيح ".

ولنعلم جميعا أن الله خلق بني آدم معرَّضًا للخطيئات، ومعرَّضًا للتقصير في الواجبات، فضاعف له الحسناتِ، ولم يضاعِف عليه السيِّئات، قال الله تعالى: {مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾} [الأنعام: ١٦٠].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله: «إنّ الله كتب الحسناتِ والسيّئات، فمن همَّ بحسنةٍ فلم يعملها كتبَها الله عندَه حسنةً كامِلة، فإن عمِلها كتبها الله عندَه عشرَ حسنات، إلى سبعمائة ضِعف، إلى أضعافٍ كثيرة، فإن همَّ بسيّئة فلم يعملْها كتبَها الله حسَنة كامِلة، فإن عمِلها كتبها الله عنده سيِّئة واحدة» (١).

فشرَع الله لكسبِ الحَسَنات طرُقًا للخيرَات وفرائضَ مكفِّراتٍ للسيِّئات رافعةً للدّرجات، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله قال: «الصلواتُ الخمس والجُمعة إلى الجُمعة ورمضانُ إلى رمضان مكفِّرات لما بينهنّ إذا اجتُنِب الكبائر» (٢).

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله: «أربعون خَصلةً أعلاها مَنيحَة العَنز، ما مِن عاملٍ يعمَل بخصلةٍ منها رَجاءَ ثوابِها وتَصديقَ مَوعودِها إلاّ أدخله الله بها الجنّة» (٣)، وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبيّ ﷺ قال: «الإيمان بضعٌ وسبعون - أو بضعٌ وستون - شعبة، فأفضلها قول: لا إله إلا الله، وأدناها إماطةُ الأذى عن الطّريق، والحياءُ شعبَة من الإيمان» (٤)، وعن أبي ذرّ رضي الله عنه قال: قلت: يا رسولَ الله، أيُّ العمل أفضَل؟ قال: «الإيمانُ بالله والجِهاد في سبيلِه»، قلتُ: أيُّ الرِّقاب أفضل؟ قال: «أنفسُها عندَ أهلها وأكثرُها ثمَنًا»، قلتُ: فإن لم أفعل؟! قال: «تُعين صانعًا أو تصنَع لأخرَق»، قلت: يا رسولَ الله، أرأيتَ إن ضعفتُ

(١) صحيح البخاري: كتاب الرقاق، باب: من همّ بحسنة أو بسيئة (٦٤٩١) بنحوه، وأخرجه أيضا مسلم في الإيمان، باب: إذا هم العبد بحسنة (١٣١).
(٢) صحيح مسلم: كتاب الطهارة، باب: الصلوات الخمس (٢٣٣).
(٣) صحيح البخاري: كتاب الجنة وفضلها، باب: فضل المنيحة (٢٦٣١).
(٤) أخرجه البخاري في الإيمان، باب: أمور الإيمان (٩)، ومسلم في الإيمان، باب: بيان عدد شعب الإيمان (٣٥) واللفظ له.

عن بعضِ العمَل؟! قال: «تكفُّ شرَّك عن النَّاس، فإنَّها صدقةٌ مِنك على نفسِك» [1]، وعنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تحقرنَّ من المعروفِ شيئًا ولو أن تلقى أخاك بوجهٍ طليق» [2]، وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ الله ليرضَى عن العبدِ أن يأكُل الأكلةَ فيحمَده عليها، أو يشربَ الشربة فيحمَده عليها» [3].

وكما شرع اللهُ كثرةَ أبوابِ الخير وأسباب الحسنات سدَّ أبوابَ الشرِّ والمحرَّمات، وحرَّم وسائلَ المَعاصي والسيِّئات، ليثقلَ ميزانُ البرِّ والخير، ويخِفَّ ميزانُ الإثم والشرِّ، فيكون العبد من الفائزين المفلحين، قال الله تعالى: {قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ} [الأعراف: ٣٣]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسولَ الله ﷺ يقول: «ما نهيتُكم عنه فاجتنِبوه، وما أمرتُكم به فأتوا منه ما استطعتم» [4].

وجِماع الخير ومِلاك الأمر وسببُ السعادة التوبةُ إلى الله تعالى، قال عزَّ وجلَّ: {وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [النور: ٣١].

ومعنى التوبةِ هي الرجوعُ إلى الله والإنابةُ إليه مِن فعلِ المحرَّم والإثم، أو مِن ترك واجبٍ أو تقصير فيه، بصدقِ قلبٍ ونَدمٍ على ما كان.

والتوبة النَّصوحُ يحفَظ الله بها الأعمالَ الصَّالحة التي فعَلها العبد، ويكفِّر الله تبارك وتعالى بها المعاصيَ التي وقعت، ويدفعُ الله بها العقوباتِ النَّازلةَ والآتيةَ، قال الله تعالى: {فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا

(١) أخرجه البخاري في العتق، باب: أي الرقاب أفضل (٢٥١٨)، ومسلم في الإيمان، باب: بيان كون الإيمان بالله أفضل الأعمال (٨٤) واللفظ له.

(٢) أخرجه مسلم في البر والصلة، باب: استحباب طلاقة الوجه عند اللقاء (٢٦٢٦).

(٣) أخرجه مسلم في الذكر والدعاء، باب: استحباب حمد الله تعالى بعد الأكل والشرب (٢٧٣٤).

(٤) أخرجه البخاري في الاعتصام بالكتاب والسنة، باب: الاقتداء بسنن رسول الله (٧٢٨٨)، ومسلم في الحج، باب: فرض الحج مرة في العمر (١٣٣٧).

وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٩٨﴾} [يونس: ٩٨]. روى ابن جرير رحمه الله في تفسير هذه الآية عن قتادة قال: " لم ينفع قرية كفرت ثمّ آمنت حينَ حضرها العذاب فتُركت إلاّ قوم يونس، لمّا فقدوا نبيَّهم وظنّوا أنّ العذابَ قد دنا منهم قذف الله في قلوبهم التّوبةَ، ولبسوا المسوح، وألهوا بين كلّ بهيمة وولدها - أي: فرّقوا بينهما -، ثمّ عجّوا إلى الله أربعين ليلة، فلمّا عرف الله الصّدقَ من قلوبهم والتّوبة والنّدامةَ على ما مضى منهم كشف الله عنهم العذابَ بعد أن تدلّى عليهم " انتهى [1].

وقال تعالى: {وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَاعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ} [هود: ٣].

والتوبةُ واجبة على كلّ أحدٍ من المسلمين، فالواقعُ في كبيرة تجب عليه التّوبة لئلاّ يبغتَه الموتُ وهو على معصية، فيندم حين لا ينفع النّدم، والواقعُ في صغيرةٍ تجب عليه التّوبة لأنّ الإصرارَ على الصغيرة يكون من كبائر الذّنوب، والمؤدّي للواجباتِ التاركُ للمحرّمات تجب عليه التّوبة أيضًا لما يلحَق العملَ من الشّروط وانتفاء موانع قبوله، وما يُخشَى على العمَل من الشّوائب المحذّر منها كالرّياء، عن الأغرّ بن يسار رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يا أيّها النّاس، توبوا إلى الله واستغفِروه، فإنّي أتوب إليه في اليوم مائةَ مرّة» [2].

والتّوبة بابٌ عظيم تتحقّق بهِ الحسنات الكبيرةُ العظيمة التي يحبّها الله؛ لأنّ العبدَ إذا أحدَث لكلّ ذنبٍ يقَع فيه توبةً كثُرت حسناتُه ونقصَت سيّئاتُه، قال الله تعالى: {وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا} [الفرقان: ٦٨ - ٧٠].

---

(١) تفسير الطبري (١١/١٧١).

(٢) صحيح مسلم: كتاب الذكر والدعاء، باب: استحباب الاستغفار (٢٧٠٢) بنحوه، ومرّة رواه عن الأغرّ عن ابن عمر رضي الله عنهما.

أيها المسلمون، تذكَّروا سعةَ رحمةِ الله وعظيمَ فضلِه وحِلمِه وجودِه وكرمِه، حيثُ قبِل توبةَ التائبين، وأقال عثرةَ المذنبين، ورحِم ضعفَ هذا الإنسان المسكين، وأثابَه على التَّوبة، وفتحَ له أبوابَ الطَّهارة والخيرات، عن أبي موسى الأشعريّ رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ قال: «إنَّ الله تعالى يبسُط يدَه بالليل ليتوبَ مسيءُ النّهار، ويبسط يدَه بالنّهار ليتوبَ مسيءُ الليل» (١).

والتَّوبة من أعظمِ العبادات وأحبِّها إلى الله تعالى، من اتَّصفَ بها تحقَّق فلاحُه وظهَر في الأمور نجاحُه، قال تعالى: { فَأَمَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلْمُفْلِحِينَ ﴿٦٧﴾} [القصص: ٦٧].

وكفى بفضلِ التَّوبة شرفًا فرحُ الرَّبِّ بها فرحًا شديدًا، عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لَلهُ أشدُّ فرحًا بتوبةِ عبدِه من أحدِكم سقَط على بعيره وقد أضلّه في أرض فلاة» (٢).

والتَّوبة من صفاتِ النبيّين عليهم الصلاة والسلام ومن صفات المؤمنين، قال الله تعالى: { لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾} [التوبة: ١١٧]، وقال تعالى عن موسى عليه الصلاة والسلام: { قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ} [الأعراف: ١٤٣]، وقال تعالى عن داود عليه الصلاة والسلام: {وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ} [ص: ١٧]، وقال عزّ وجلّ: { ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّآئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾} [التوبة: ١١٢]. ألا ما أجلّ صفةَ التَّوبة التي بدأ الله بها هذه الصفاتِ المُثلى من صفاتِ الإيمان.

والتَّوبة عبادةٌ لله بالجوارح والقلب، واليومُ الذي يتوبُ الله فيه على

(١) صحيح مسلم: كتاب التوبة، باب: قبول التوبة من الذنوب (٢٧٥٩).

(٢) أخرجه البخاري في الدعوات، باب: التوبة (٦٣٠٩) واللفظ له، ومسلم في التوبة، باب: من الحض على التوبة (٢٧٤٧).

العبدِ خيرُ أيّام العُمُر، والسّاعة التي يفتَح الله فيها لعبدِه بابَ التّوبة ويرحمُه بها هي أفضلُ ساعاتٍ في الدّهر؛ لأنّه قد سعِد سعادةً لا يشقى بعدها أبدًا، عن كعب بن مالك رضي الله عنه في قصّة توبَة الله عليه في تخلّفه عن غزوة تبوك أنّه قال: فلمّا سلّمتُ على رسول الله قال وهو يبرُق وجهُه من السّرور: «أبشِر بخيرِ يومٍ مرّ عليك منذ ولدَتك أمّك» [1].

معشرَ المسلمين، إنّها تُحيطُ بِكم أخطارٌ عظيمة، وتنذِركم خطوبٌ جَسيمة، وقد نزَل مِن أعداء الإسلام بالمسلمين نوازلُ وزلازل، وأصابتهُم الفتَن والمِحن، وإنّه لا مخرَجَ لهم من هذه المضايِق وهذه الكربَات إلاّ بالتّوبة إلى الله والإنابَة إليه، فالتّوبة واجبةٌ على كلّ مسلِم على وجهِ الأرض من الذّنوب صغارِها وكبارها؛ ليرحمَنا الله في الدّنيا والآخرة، ويكشِف الشرورَ والكرُبات، ويقِينا عذابَه الأليم وبطشَه الشّديد.

قال أهلُ العِلم: إذا كانتِ المعصيةُ بينَ العبد وبين ربّه لا حقّ لآدميٍّ فيها فشروطُها أن يقلِعَ عن المعصيةِ وأن يندَمَ على فعلها وأن يعزمَ أن لا يعودَ إليها أبدًا، وإن كانتِ المعصيةُ تتعلّق بحقّ آدميٍّ فلابدَّ مع هذه الشّروط أن يؤدّيَ إليه حقَّه أو يستحلّه منه بالعفو.

والتّوبة من جميع الذّنوب واجبَة، وإن تابَ من بعضِ الذّنوب صحّت توبتُه من ذلك الذّنب، وبقيَ عليه ما لم يتُب منه.

فتوبوا إلى الله أيّها المسلمون، وأقبِلوا إلى ربٍّ كريم، أسبَغَ عليكم نعمَه الظاهرةَ والباطنَة، وآتاكم من كلّ ما سألتموه، ومدَّ في آجالِكم، وتذكّروا قصصَ التائِبين المنيبين الذين مَنَّ الله عليهم بالتّوبة النّصوح بعد أن غرقوا في بحارِ الشهوات والشّبهات، فانجَلت غشاوةُ بصائِرهم، وحيِيَت قلوبُهم، واستنارت نفوسُهم، وأيقظهم اللهُ من موتِ الغفلةِ، ونَصَرَهم مِن عمَى الغَيّ وظلماتِ المعاصي، وأسعدَهم من شقاءِ الموبِقات، فصاروا مَولودِين من جَديد، مستبشرين بنعمةٍ من الله وفضل، لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوء وَاتَّبَعُواْ رِضْوَانَ اللهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ [آل عمران:

(١) أخرجه البخاري في المغازي، باب: حديث كعب بن مالك (٤٤١٨)، ومسلم في التوبة، باب: حديث توبة كعب بن مالك (٢٧٦٩).

١٧٤].

بسم الله الرحمن الرحيم: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾} [التحريم: ٨].

بارَك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعَني وإيّاكم بما فيه من الآياتِ والذّكر الحكيم، ونفعنا بهَدي سيّد المرسلين وبقولِه القويم، أقول قولي هذا، وأستَغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين مِن كلّ ذنب، فاستغفروه إنّه هو الغفور الرحيم.

* * *

[من فضائل التوبة والرجوع إلى الله سبحانة]

قال ربنا جل ذكره: {إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ} [البقرة: ٢٢٢].

قال القاسمي: " وفي ذكر التوبة إشعار بمساس الحاجة إليها بارتكاب بعض الناس لما نهوا عنه ".

وقال الزمخشري: " إن الله يحب التوابين الذين يطهرون أنفسهم بطهرة التوبة من كل ذنب ".

ومحبة الله للتوابين دليلها فتح الباب لهم لئلا يقنطوا من رحمة الله سبحانه فيقبلوا عليه، ويلوذوا ببابه، لينالوا من فضل التوبة وبركتها.

ثانيًا: قال سبحانه: {إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُولَٰئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٨﴾} [النساء: ١٧ - ١٨].

وفي هاتين الآيتين بشارة لمن أراد التوبة، وَفَتْحُ بابِها إلى قبيل الموت، فعن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: " إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر ". وقوله: " ما لم يغرغر ". أي ما لم تبلغ روحه

حلقومه، فتكون بمنزلة الشيء يتغرغر به، أي ما لم يتيقن الموت لأن التوبة المقبولة هي التي تكون قبل الموت، أما عند تحقق وقوع الموت فلا يعتد بها.

قال الشيخ حافظ بن حكمي:

وتقبل التوبة قبل الغرغرة ::: كذا أتى في الشرعة المطهرة

ولذلك اجتمع أربعة من أصحاب النبي ﷺ فقال أحدهم: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله تبارك وتعالى يقبل توبة العبد قبل أن يموت بيوم». وقال الثاني: أنت سمعت هذا من رسول الله ﷺ ؟ قال: نعم. قال: وأنا سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله يقبل توبة العبد قبل أن يموت بنصف يوم». فقال الثالث: أنت سمعت هذا من رسول الله ﷺ ؟ قال: نعم. قال: وأنا سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله يقبل توبة العبد قبل أن يموت بضحوة». والضحوة ارتفاع أول النهار، وقيل: ضحوة النهار بعد طلوع الشمس ثم بعده الضحى حين تشرق الشمس. لسان العرب: ص٢٥٥٩. فقال الرابع: أنت سمعت هذا من رسول الله ﷺ ؟ قال: نعم. قال: وأنا سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر بنفسه». أخرجه أحمد.

فمن فضل الله على عباده أنه أذن لهم في التوبة وفتح بابها ما لم يأت الموت وتنتهي الحياة، كما أنه جل شأنه رغب في التوبة قبل أن يأتي الموت، وحتى لا يقول العبد حين يعاين الهلاك بعد الموت: {رَبِّ ٱرۡجِعُونِ ۝٩٩ لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُ} [المؤمنون: ٩٩ - ١٠٠].

عند ذلك يأتيه الرد القاطع الذي يليق بحاله: {كَلَّآۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَاۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرۡزَخٌ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ} [المؤمنون: ١٠٠].

ثالثًا: قال الله تعالى: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيُدۡخِلَكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ} [التحريم: ٨].

فالله تعالى يرغب أهل الإيمان في التوبة، لأنهم هم الذين يستجيبون لأمره ولأنهم هم أحق الناس بالتوبة، أي بالرجوع إلى الله، ونيل ثواب التوبة الذي لا يحصل عليه إلا أهل الإيمان، وكذلك رغبهم سبحانه دون

غيرهم، وهذا لاختصاصهم بالفضل وتوجيههم للخير، وحضهم على التوبة النصوح، قال مجاهد: النصوح أن يتوب من الذنب فلا يعود إليه، قيل: توبة نصوح أي صادقة يقال نصحته: أي صدقته، وقيل: نصوح: أي بالغة في النصح، مأخوذ من النصح وهو الخياطة، كأن العصيان يخرق والتوبة ترقع، والنصح: الخيط، وقيل: نصوحًا أي خالصة، يقال: نصح الشيء إذا خلص، ونصح له: أخلص له القول. (شرح السنة للبغوي ٥ - ٨١).

وقال القاسمي: أي توبة ترقع الخروق، وترتق الفتوق، وتصلح الفاسد، وتسد الخلل (محاسن التأويل للقاسمي: ١٦ - ٥٨٦٨).

وسئل الحسن البصري عن التوبة النصوح فقال: ندم بالقلب، واستغفار باللسان، وترك معاصي الجوارح، وإضمار أن لا يعود.

وقال القرطبي: اختلفت عبارة العلماء وأرباب القلوب في التوبة النصوح على ثلاثة وعشرين قولاً، فقيل: هي التي لا عودة بعدها كما لا يعود اللبن في الضرع، وروى عن عمر وابن مسعود وأبي بن كعب ومعاذ بن جبل رضي الله عنهم ورفعه معاذ إلى النبي ﷺ.

وقال فتح الموصلي: علاماتها ثلاث: مخالفة الهوى وكثرة البكاء، ومكابدة الجوع والظمأ، وقال سهل بن عبد الله التستري: هي التوبة لأهل السنة والجماعة لأن المبتدع لا توبة له بدليل قوله ﷺ: " حجب الله على كل صاحب بدعة أن يتوب ". الطبراني في الأوسط ٤٣٦٠.

وعن حذيفة: بحسب الرجل من الشر أن يتوب من الذنب ثم يعود فيه، وأصل التوبة النصوح من الخلوص، ويقال هذا عسل ناصح إذا خلص من الشمع، وقيل: هي مأخوذة من النصاحة وهي الخياطة، وهي وجهان: أحدهما: لأنها توبة قد أحكمت طاعته وأوثقتها كما تحكم الخياط الثوب بخياطته ويوثقه، والثاني: لأنها قد جمعت بينه وبين أولياء الله وألصقته بهم كما يجمع الخياط الثوب ويلصق بعضه إلى بعض.

فهذه التوبة النصوح أي التي لا يتاب منها من فضلها أنها تكفر الذنوب والخطايا وسبب من أسباب دخول الجنة، ولذلك قال جل شأنه: {إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْـًٔا ﴿٦٠﴾

جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ إِنَّهُۥ كَانَ وَعۡدُهُۥ مَأۡتِيّٗا ﴿٦١﴾} [مريم: ٦٠ - ٦١]، وقال سبحانه: {وَإِنِّي لَغَفَّارٞ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا ثُمَّ ٱهۡتَدَىٰ ﴿٨٢﴾} [طه: ٨٢].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ليتمنين أقوام لو أكثروا من السيئات» قالوا: بم يا رسول الله؟ قال: «الذين بدل الله سيئاتهم حسنات».

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «كل شيء يتكلم به ابن آدم فإنه مكتوب عليه فإذا أخطأ خطيئة فأحب أن يتوب إلى الله عز وجل فليأت رفيقه فليمدد يديه إلى ربه عز وجل ثم يقول: اللهم إني أتوب إليك منها لا أرجع إليها أبدًا فإنه يغفر له ما لم يرجع في عمله ذلك». البيهقي في السنن الكبرى: ١٠ - ١٥٤.

وعن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «يؤتى بالرجل يوم القيامة فيقال: اعرضوا عليه صغار ذنوبه، فتعرض عليه صغار ذنوبه وتنحى عنه كبارها، فيقال: عملت يوم كذا وكذا، وهو مقر لا ينكر، وهو مشفق من الكبار، فيقال: أعطوه مكان كل سيئة عملها حسنة، فيقول: أين لي ذنوب ما أراها هاهنا؟» قال أبو ذر: فلقد رأيت رسول الله ﷺ ضحك حتى بدت نواجذه". مسلم: ١ - ١٧٧.

انظر إلى حال ذلك الرجل وهو مقر لا ينكر من صغار ذنوبه التي تعرض عليه شيئًا وهو مشفق من كبار ذنوبه، وهو لا يتكلم ولا يذكر شيئًا سوى الإقرار لأنه يخشى أن تظهر الكبار، فلما سترها الله عليه وجاءت رحمة الله رب العالمين ليعطى مكان كل سيئة حسنة، عند ذلك فقط سأل عن كبار ذنوبه راجيًا الثواب لتبدل هي الأخرى حسنات، فضحك النبي ﷺ من طمع ذلك العبد في رحمة ربه، بعد أن كان مشفقًا على نفسه من الكبار، طلبها حتى تزداد حسناته فسبحان الذي بدل السيئات حسنات بعفوه وكرمه وإحسانه.

قال أبي طويل شطب الممدود أنه أتى النبي ﷺ فقال: أرأيت من عمل الذنوب فلم يترك منها شيئًا وهو في ذلك لم يترك حاجة ولا داجة إلا أتاها فهل لذلك من توبة؟ قال: «فهل أسلمت؟» قال: فأما أنا فأشهد أن لا إله

إلا الله وأنك رسول الله، قال: «تفعل الخيرات وتترك السيئات فيجعلهن الله لك خيرات كلهن»، قال: وغدراتي وفجراتي، قال: «نعم». قال: الله أكبر، فما زال يكبر حتى توارى.

فالتوبة النصوح تذهب السيئات وتمحوها بفضل الله وعفوه وكرمه بل تتبدل السيئات إلى حسنات، ويجعلها الله تعالى سببًا في دخول الجنة التي وعد الله عباده، وهذا يدل على فضل وشرف ومنزلة التوبة.

(أحبتي في الله)

توبوا إلى الله فإنه يحب التوابين، وتطهروا من الذنوب والمعاصي فإنه يحب المتطهرين، واستغفروا الله فإنه خير الغافرين: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ} [التحريم: ٨].

(علامات التوبة النصوح):

التوبة النصوح إخلاص لله، وإقلاع عن الذنوب والمعاصي، وندم على فعلها، وعزم على عدم العودة إليها، ليست التوبة مجرد قول باللسان بأن يقول: الله تب علي وهو مصر على المعصية، أو يقول ذلك وهو عازم على العودة إلى المعصية، أو غير مبال بما سلف من الذنوب، لابد من تواطؤ القلب واللسان والجوارح على التوبة، يخاف ذنوبه الماضية، ويخشى أن تهلكه، ويذكر الله بلسانه، ويعمل بطاعة ربه بجوارحه، يسأل الله بقلب خاشع ولسان ضارع، أن يقبل منه وينجيه.

أيها المسلمون: أيأمن أحدكم الموت أن يفاجئه في أي وقت؟ أيأمن أحدنا مكر الله؟ أيأمن أحدنا عذاب الله أن يأتي ليلاً أو نهاراً؟ إن أحداً من الناس لا يأمن ذلك، فما بالنا نسوف ونؤخر التوبة والرجوع إلى الله: {أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٩٩﴾} [الأعراف: ٩٧ - ٩٩].

التوبة يا عباد الله لها وقت لابد أن تقع فيه، فإن تأخرت لم تنفع صاحبها، إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر بروحه، فإذا بلغت الروح

الحلقوم فلا توبة: {إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٨﴾} [النساء: ١٧ - ١٨].

توبوا إلى الله قبل أن يفاجئكم الموت، وتذكروا نعم الله عليكم، اشكروه عليها، ولا تبارزوه بالمعاصي فتأمنوا مكر الله، فإنه لا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون.

عباد الله: انظروا إلى من حولكم كيف حلت بهم المصائب والبلايا والنكبات بسبب بعدهم عن دين الله وطاعته، وليس ما أصابهم ببعيد عنكم إذا فرطتم، أفلا تخافون الله وتخشونه، أفلا تتوبون إلى الله وتستغفرونه: {أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾} [المائدة: ٧٤]، إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته: {وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾} [هود: ١٠٢].

ما بال القلوب قد قست، وأعرضت عن دين الله، تسمع المواعظ فلا تنتهي عن المعاصي، وتسمع داعي الله فلا تستجيب له، ولا تلبي نداءه: {يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾} [الأحقاف: ٣١].

إن أعظم عقوبة يصاب بها المرء قسوة القلب، وإن أبعد القلوب من الله القلب القاسي لا يعرف معروفاً، ولا ينكر منكراً، ولقد عاب الله على أقوام قسوة قلوبهم، فقال: {ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ} [البقرة: ٧٤].

أيها الناس: حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوها قبل أن توزنوا، واستعدوا للعرض الأكبر على الله، وأروا الله من أنفسكم خيراً، وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين، الكيس من دان نفسه، وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها، وتمنى على الله الأماني.

توبوا إلى الله فقد أمركم الله بها: {وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [النور: ٣١]، ورغبكم فيها: {إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ} [البقرة: ٢٢٢]، وإن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر..

(أيها الأحبة في الله)

إن التوبة واجبة من كل ذنب، صغير أو كبير، وكل الناس خطاء، وخير الخطائين التوابون، والله أشد فرحاً بتوبة عبده من أحدكم براحلته، وما نزل بلاء إلا بذنب، ولا رفع إلا بتوبة.

ورَحِم الله القرطبي حيث قال في تفسير قول الله عز وجل: {وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ} [آل عمران: ١٣٥].

"قوله تعالى: {وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ} [آل عمران: ١٣٥]، أي: ليس أحدٌ يغفر المعصية ولا يزيل عُقُوبتَها إلا الله: {وَلَمْ يُصِرُّواْ} [آل عمران: ١٣٥]، أي: ولم يثبتوا ويعزموا: {وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ} [آل عمران: ١٣٥]، وقال مجاهد أي: ولم يمضوا... الإصرار هو العزم بالقلب على الأمر وترك الإقلاع عنه، ومنه صَرُّ الدنانير: أي الربط عليها... قال سهل بن عبد الله: الإصرار هو التسويف، والتسويف: أن يقول: أتوب غدا، وهذا دعوى النفس كيف يتوب غدا وغدا لا يملكه سهل؟!...

(الباعث على التوبة)

قال علماؤنا: الباعث على التوبة وحل الإصرار إدامة الفكر في كتاب الله العزيز الغفار وما ذكره الله سبحانه من تفاصيل الجنة ووعد به المطيعين وما وصفه من عذاب النار وتهدد به العاصين ودام على ذلك حتى قوي خوفه ورجاؤه فدعا الله رَغباً ورَهباً، والرغبة والرهبة ثمرةُ الخوفِ والرجاء، يخاف من العقاب ويرجو الثواب والله الموفق للصواب. وقد قيل: إنَّ الباعثَ على ذلك تنبيهٌ إلَهيٌّ يُنبِّه به من أراد سعادتَه لِقُبحِ الذنوبِ وضَرَرِها؛ إذ هي سُمومٌ مُهلِكَةٌ. قلت: وهذا خلاف في اللفظ لا في المعنى فإنَّ الإنسانَ لا يتفكرُ في وَعدِ الله ووَعِيدِه إلا بتنبيهِه؛ فإذا نظر

العبدُ بتوفيقِ الله تعالى إلى نفسِه؛ فوجدها مشحونةً بذنوبٍ اكتسبَها وسيئاتٍ اقترفَها وانبعثَ منه الندمُ على ما فرطَ وترك مثل ما سبق مخافةَ عُقوبةِ الله تعالى صدقَ عليه أنه تائبٌ؛ فإن لم يكن كذلك كان مُصِراً على المعصية ومُلازِماً لأسبابِ الْهَلَكة، قال سهل بن عبد الله: علامة التائب أن يشغله الذنبُ عن الطعام والشراب كالثلاثة الذين خُلِّفوا) من كتاب الجامع لأحكام القرآن ٤/٤١١ - ٤١٢.

(أحبتى في الله)

- إتماما للفائدة وقفت بفضل الله علىّ كلاما نفيسا للتوبة للإمام الغزالى أنقله إليكم من كتاب الإحياء (بتصرف)

- تحت عنوان -

- وجوب التوبة على الدوام - للإمام الغزالى)

قال رحمه الله:

- وجوب التوبة على الدوام وفي كل حال فهو أن كل بشر فلا يخلو عن معصية بجوارحه فإن خلا في بعض الأحوال عن معصية الجوارح فلا يخلو عن الهم بالذنوب بالقلب فإن خلا في بعض الأحوال عن الهم فلا يخلو عن وسواس الشيطان بإيراد الخواطر المذهلة عن ذكر الله فإن خلا عنه فلا يخلو عن غفلة وقصور في العلم بالله وصفاته وأفعاله وكل ذلك نقص وله أسباب وترك أسبابه بالتشاغل بضدها رجوع عن طريق إلى ضده والمراد بالتوبة الرجوع ولا يتصور الخلو في حق الآدمي عن هذا النقص وإنما يتفاوتون بالمقادير، فأما الأصل فلا بد منه ولهذا قال عليه السلام: «إنه ليغان على قلبي حتى أستغفر الله في اليوم والليلة سبعين مرة» الحديث ولذلك أكرمه الله تعالى بأن قال: {لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ} [الفتح: ٢]، وإذا كان هذا حاله فكيف حال غيره

- وإنما أطلقنا الوجوب في كل حال والتوبة عن بعض ما ذكر من الفضائل لا الفرائض لأنا نعني بالواجب ما لا بد منه للوصول به إلى القرب المطلوب من رب العالمين والمقام المحمود بين الصديقين والتوبة عن جميع ما ذكرناه واجبة في الوصول إليه كما يقال الطهارة واجبة في

صلاة التطوع أي لمن يريدها فإنه لا يتوصل إليها إلا بها وجه المرآة عند تراكمه خبثًا

- كما قال تعالى: {كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾} [المطففين: ١٤]، فإذا تراكم الرين صار طبعا فيطبع على قلبه كالخبث على وجه المرآة إذا تراكم وطال زمانه غاص في جرم الحديد وأفسده وصار لا يقبل الصقل بعده وصار كالمطبوع من الخبث ولا يكفي في تدارك اتباع الشهوات تركها في المستقبل بل لا بد من محو تلك الأريان التي انطبعت في القلب كما لا يكفي في ظهور الصور في المرآة قطع الأنفاس والبخارات المسودة لوجهها في المستقبل ما لم يشتغل بمحو ما انطبع فيها من الأريان وكما يرتفع إلى القلب ظلمة من المعاصي والشهوات فيرتفع إليه نور من الطاعات وترك الشهوات فتنمحي ظلمة المعصية بنور الطاعة وإليه الإشارة بقوله عليه السلام«أتبع السيئة الحسنة تمحها» فإذن لا يستغني العبد في حال من أحواله عن محو آثار السيئات عن قلبه بمباشرة حسنات تضاد آثارها آثار تلك السيئات

- ولقد صدق أبو سليمان الداراني حيث قال لو لم يبك العاقل فيما بقي من عمره إلا على تفويت ما مضى منه في غير الطاعة لكان خليقا أن يحزنه ذلك إلى الممات فكيف من يستقبل ما بقي من عمره بمثل ما مضى من جهله وإنما قال هذا لأن العاقل إذا ملك جوهرة نفيسة وضاعت منه بغير فائدة بكى عليها لا محالة وإن ضاعت منه وصار ضياعها سبب هلاكه كان بكاؤه منها أشد وكل ساعة من العمر بل كل نفس جوهرة نفيسة لا خلف لها ولا بدل منها فإنها صالحة لأن توصلك إلى سعادة الأبد وتنقذك من شقاوة الأبد وأي جوهر أنفس من هذا فإذا ضيعتها في الغفلة فقد خسرت خسرانا مبينا فإن كنت لا تبكي على هذه المصيبة فذلك لجهلك ومصيبتك بجهلك أعظم من كل مصيبة ونوم الغفلة يحول بينه وبين معرفته والناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا فعند ذلك ينكشف لكل مفلس إفلاسه ولكل مصاب مصيبته وقد رفع الناس عن التدارك كما قال تعالى: {وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا

جَآءَ أَجَلُهَا} [المنافقون: ١٠ - ١١] وقد قيل في معنى الآية: إنه يقول بلسان حاله يا ملك الموت أخرني يوما أتوب فيه إلى ربي وأتزود صالحا لنفسي فيقول فنيت الأيام فلا يوم فيقول فأخرني ساعة فيقول فنيت الساعات فلا ساعة فيغلق عليه باب التوبة فيتغرغر بروحه وتزهق نفسه ولمثل هذا يقال: {وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ} [النساء: ١٨].

وقوله تعالى: {إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَـٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ} [النساء: ١٧].

معناه عن قرب عهد بالخطيئة بأن يتندم عليها ويمحو أثرها بحسنة يردفها بها قبل أن يتراكم الرين على القلب فلا يقبل المحو ولذلك قال ﷺ: «أتبع السيئة الحسنة تمحها» ومن ترك المبادرة إلى التوبة بالتسويف كان بين خطرين عظيمين

- أحدهما أن تتراكم الظلمة على قلبه من المعاصي حتى يصير رينا وطبعا فلا يقبل المحو

- الثاني أن يعاجله المرض أو الموت فلا يجد مهلة للاشتغال بالمحو فيأتي الله بقلب غير سليم ولا ينجو إلا من أتى الله بقلب سليم بيان أن التوبة الصحيحة مقبولة

- اعلم أن التوبة إذا استجمعت شرائطها فهي مقبولة لا محالة فإن نور الحسنة يمحو عن وجه القلب ظلمة السيئة كما لا طاقة لظلام الليل مع بياض النهار وكما أن استعمال الثوب في الأعمال الخسيسة يوسخ الثوب وغسله بالصابون والماء الحار ينظفه لا محالة فاستعمال القلب في الشهوات يوسخ القلب وغسله بماء الدموع وحرقة الندم ينظفه ويطهره ويزكيه وكل قلب زكي طاهر فهو مقبول كما أن كل ثوب نظيف فهو مقبول فإنما عليك التزكية والتطهير وأما القبول فمبذول قد سبق به القضاء الأزلي الذي لا مرد له وهو المسمى فلاحا في قوله: {قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩} [الشمس: ٩].

- فمن يتوهم أن التوبة تصح ولا تقبل كمن يتوهم أن الشمس تطلع

والظلام لا يزول والثوب يغسل بالصابون والوسخ لا يزول إلا أن يغوص الوسخ لطول تراكمه في تجاويف الثوب فلا يقوى الصابون على قلعه فمثال ذلك أن تتراكم الذنوب حتى تصير طبعا ورينا على القلب فمثل هذا القلب لا يرجع ولا يتوب نعم قد يقول باللسان تبت فيكون ذلك كقول القصار بلسانه قد غسلت الثوب وذلك لا ينظف الثوب أصلا ما لم يغير صفة الثوب باستعمال ما يضاد الوصف المتمكن به فهذا حال امتناع أصل التوبة وهو غير بعيد بل هو الغالب على كافة الخلق المقبلين على الدنيا المعرضين عن الله بالكلية.

- هذا البيان كاف عند ذوي البصائر في قبول التوبة ولكنا نعضد جناحه ببعض آيات وأخبار فكل استبصار لا يشهد له الكتاب والسنة ولا يوثق به قال تعالى: {غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ} [غافر: ٣]، وقال سبحانه: {وَهُوَ ٱلَّذِي يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ وَيَعۡفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ} [الشورى: ٢٥]، وقال ﷺ: «إن الله عز وجل يبسط يده بالتوبة لمسيء الليل إلى النهار ولمسيء النهار إلى الليل حتى تطلع الشمس من مغربها» وبسط اليد كناية عن طلب التوبة وقال ﷺ: «التائب من الذنب كمن لا ذنب له» (انتهى من كتاب الإحياء لأبي حامد الغزالي ج٤/٣٣٦).

* * *

من قصص التائبين

- أيها الأحبة إليكم نماذج من قصص التائبين الذين أنابوا إلى ربهم وأسلموا له، فقبلهم الله تعالى وتاب عليهم، وختم لهم بخير.

- قصة عبد الله بن مسلمة القعنبي

- وأبدأ بهذه القصة العجيبة، وهي قصة عبد الله بن مسلمة القعنبي، وكان هذا من رجال الحديث النبوي، ومن تلاميذ الإمام مالك، وهو رجلٌ ثقة معروف وإمام مشهور، ماذا كان تاريخ هذا الرجل؟ وكيف كانت حياته في الماضي؟ إننا نسمع العجب العجاب، كان هذا شاباً مراهقاً طائشاً لا هم له إلا مجالسة السفهاء ومعاقرة الخمر وإيذاء الناس في الشوارع وغير ذلك من الأعمال التي يقوم بها السفهاء، وكان يلبس ثياباً

تليق بالعصاة من الشباب المراهقين في ذلك العصر.

- وفي أحد الأيام كان واقفاً عند باب بيته، ومعه سكين كالعادة، فمر به رجل على حمار وحوله مجموعة من الشباب الذين يظهر من سيماهم الصلاح والاستقامة والاشتغال بطلب العلم، فقال القعنبي لمن حوله: من هذا الرجل الذي أقبل؟ قالوا: هذا شعبة بن الحجاج، قال: ومن هو شعبة ابن الحجاج؟ وكانوا بالبصرة، وشعبة إمام علم، لا يخفى على أحد من أهل البصرة، إلا أن القعنبي لم يكن يعرفه لانشغاله بأمور أخرى، كما يجهل كثيرٌ من الشباب الضائعين في هذا العصر أخبار العلم والعلماء والدعاة وغير ذلك، فقالوا له: هذا شعبة بن الحجاج قال: ومن شعبة؟ قالوا: إمام من أئمة المحدثين، فتقدم هذا الغلام السفيه إلى شعبة، وقال له: حدثني، اقرأ علي حديثاً حتى أرويه عنك، فقال: لستَ من أهل الحديث، أنت لا تستودع العلم والحديث ولكن قل عظني، وغضب هذا الغلام ورفع السكين، وقال له: حدثني وإلا ضربتك بهذا السكين! فلما رأى شعبة هذا الموقف؛ حدثه حديثاً يناسب المقام، فقال: حدثني منصور عن ربعي عن أبي مسعود أن النبي ﷺ قال: «إذا لم تستح فاصنع ما شئت» وهذا الحديث مناسب لحال هذا الغلام الذي لم يستح، فأقدم على تهديد هذا العالم الجليل بأن يحدثه وإلا جرحه بالسكين التي كانت في يده، فقرأ عليه قول النبي ﷺ: «إذا لم تستح فاصنع ما شئت».

- ورجع هذا الشاب إلى بيته، وقد أثر فيه هذا الحديث الذي سمعه أعظم التأثير، وقَلَبَ شخصيته قلباً تاماً، فرجع إلى البيت شخصية أخرى، وكأنه ليس هو الشاب الذي خرج قبل خمس دقائق، رجع تائباً إلى الله عز وجل خجلاً من الله تعالى، فأراق الخمور التي كانت موجودة في بيته، وكسر أوانيها، وكسر آلات اللهو والطرب التي كانت عنده موجودة وكان على موعد مع بعض جلسائه وندمائه من الفساق، فقال لأمه: إذا جاء زملائي فأدخليهم في البيت وأكرميهم وأخبريهم بما حصل مني، حتى لا يعودوا إلي مرة أخرى، ثم خرج من البصرة إلى المدينة، ولازم الإمام مالك بن أنس، حتى كان من أخص تلاميذه، وروى عنه كثيراً من الحديث، ثم رجع إلى البصرة ليروي الحديث عن شعبة وغيره من

العلماء بمدينته الأولى البصرة، ولكنه حين رجع إلى البصرة، وجد أن شعبة قد مات، وهكذا لم يرو القعنبي عن شعبة إلا ذلك الحديث الذي تحمله عنه وهو في زمن فسقه وسفاهته: (إذا لم تستح فاصنع ما شئت).

توبة كعب بن مالك وأبي محجن الثقفي

- من أعاجيب القصص في هذه الأمة، قصة كعب بن مالك رضي الله عنه وتوبته وتوبة أصحابه من التخلف عن غزوة تبوك، وهي قصة طويلة في صحيح البخاري ومسلم، لا أريد أن أطيل بذكرها.

- ولكني أذكر توبة أبي محجن الثقفي رضي الله عنه، وكان أبو محجن رجلاً لا يتورع عن شرب الخمر مع أنه مسلم، حتى إنه كان وهو في الجاهلية يتغنى بالخمر ويقول: إذا متُّ فادفني إلى جنب كرمة تروي عظامي بعد موتي عروقُها ولا تدفنني بالفلاة فإنني أخاف إذا ما مت أن لا أذوقُها أي أنه يريد إذا مات أن يدفنوه إلى جنب كرمة، أي: شجرة عنب حتى تروي عروقُها عظامَه بعد الموت حنيناً إلى الخمر، حتى وهو ميت، وظل هذا الرجل مصراً على شرب الخمر بعد الإسلام مع أنه أسلم، فكانوا يجلدونه في الخمر، ثم سجنوه لما لم يفد فيه الجلد، وكان مسجوناً في بيت سعد بن أبي وقاص في العراق قرب القادسية، فثارت معركة القادسية بين جند المسلمين وجند الفرس، واحتدم وطيس المعركة، وكان أبو محجن فارساً قوياً غيوراً على الإسلام، وإن كانت فيه هذه المعصية، فكان ينظر إلى المتقاتلين ويتحرق على القتال في سبيل الله عز وجل، ثم ينظر بين قدميه، فيجد هذه السلاسل والقيود التي أثقلته، فلا يستطيع أن يتحرك بها، فحزن حزناً شديداً على عدم استطاعته أن يقاتل، وقال وكان شاعراً قوياً قال:

كفى حزناً أن تطرد الخيل بالقنا ::: وأترك مشدودا علي وثاقيا
إذا قمت عناني الحديد وغلقت ::: مصاريع دوني قد تصم المناديا
وقد كنت ذا مال كثير وإخوةٍ ::: فقد تركوني واحدا
لا أخا لي والله عهد لا أخيس بعهده ::: لئن فرجت ألا أزور الحوانيا

أي أنه يعاهد الله عزوجل إذا فرجت عنه هذه الضائقة، ألا يزور الحانات،

ولا يشرب الخمر مرة أخرى، وكانت زوجة سعد بن أبي وقاص واسمها سلمى قريبة منه تسمعه، فناداها وقال لها: اسمعي مني قد اشتدت المعركة بين المسلمين والفرس، ففكي وثاقي وسلميني هذه الفرس التي تسمى البلقاء، وهي فرس سعد بن أبي وقاص، وقد كانت مربوطة، ودعيني أقاتل مع المسلمين، فإن قتلت فما أنا بأول من قتل، وإن نجوت فإني أعاهدك بالله عز وجل أن أعود حتى أجعلك تضعين القيد في رجلي ويدي مرة أخرى، فقالت: إني أخاف ألا تعود فقال: أعاهدك أن أعود إن نجوت.

- ففكت وثاقه، وأعطته البلقاء فرس سعد، فركبها وذهب إلى الفُرس، فبدأ يصول ويجول فيهم يمنة ويسرة، ويقتل فيهم قتلاً ذريعاً، وينتقل من الميمنة إلى الميسرة إلى القلب، وهو لا يعرض له أحد من الفرس إلا قتله حتى بدءوا يهابونه، ويتحامون منه، والمسلمون ينظرون إليه، ويقولون: من هذا؟! من هذا الفارس الذي لا نعرفه؟! وكان سعد وهو قائد المعركة يقول: والله لولا أن أبا محجن في الأسر لقلت: إن هذا أبو محجن، ولولا أن فرسي البلقاء مربوطة، لقلت: إن هذا فرسي البلقاء.

- فلما انتهت المعركة، رجع أبو محجن إلى سلمى، وجعلها تضع القيد في رجله مرة أخرى، فلما جاء سعد كان يحدث زوجته عن أخبار المعركة وقال لها: لقد ظهر فارس عجيب على فرس عجيبة، لولا أن أبا محجن في الأسر، لقلت: هو أبو محجن، ولولا أن فرسي مربوطة، لقلت: هي فرسي، فقالت له: هو والله أبو محجن، وهي والله فرسك، وأخبرته بالقصة، فذهب سعد إلى أبي محجن، وفك وثاقه بيديه، وقال له: لا جرم والله لا جلدناك في الخمر أبداً، ولا حبسناك فيها أبداً، فقال أبو محجن: وأنا والله أيضاً لا شربت الخمر أبداً، ثم تاب إلى الله عز وجل توبة نصوحاً.

توبة القاتل مائة نفس:

- وكذلك أخبرنا النبي ﷺ عن قصة الرجل الذي قتل تسعة وتسعين نفساً، كما في الحديث المتفق عليه عن أبي سعيد أن رجلاً كان جباراً طاغية معه سيفه، لا يمر برجل فيتشاكس معه ويختلف معه إلا قتله،

فسأل وقد تحركت في نفسه التوبة إلى الله عز وجل، وخاف من الموت، وأن يلقى الله على هذه الحال السيئة، وتذكر أنه مهما تمتع بشبابه وقوته وصحته فإنه آيل إلى الهرم والمرض والعجز والشيخوخة والموت والقبر والجزاء والحساب، فخاف من ذلك كله.

- وبدأ يسأل الناس: أيها الناس! هل تعلمون أحداً من أهل العلم أسأله عن حالي؟ فدُل على راهب من الرهبان، فجاء إليه وقال له: إني قتلت تسعة وتسعين نفسا فهل لي من توبة؟ قال له: أنّى لك التوبة؟! اخرج لا تلوث صومعتي، وأراد أن يطرده، فغضب هذا الرجل وقتل الراهب فأكمل به المائة، ثم بدأ يسأل مرة أخرى: هل لي من توبة؟ فدل على عالم، وهو أعلم أهل الأرض يومئذٍ، فجاء إليه وقال له: إني قتلت مائة نفس، فهل لي من توبة؟ قال: من يحول بينك وبينها؟! ولكن لا تعد إلى أرضك؛ فإنها أرض سوء فلا ترجع إلى البلد الذي جئت منه المدينة التي خرجت منها؛ بل اذهب إلى قرية كذا، وكذا؛ فإن لها قوماً يعبدون الله عز وجل فاعبد الله تعالى معهم، فخرج من بيت هذا العالم فمات في الطريق، وأوحى الله عز وجل إلى القرية التي هاجر إليها أن تقاربي - اقتربي إلى الرجل - وأوحى إلى القرية التي هاجر منها أن تباعدي، فلما قاسوا ما بين القريتين وجدوه أقرب إلى القرية التي هاجر إليها بشبر، وقبضت روحه ملائكة الرحمة، وقبض عبداً تائباً صالحاً منيباً إلى الله عز وجل.

توبة الغامدية – رضي الله عنها –

- تأتي فتقول يا رسول الله إني قد زنيت فطهرني وإنه ردها فلما كان الغد قالت يا رسول الله لم تردني لعلك أن تردني كما رددت ماعزا فوالله إني لحبلى قال أما لا فاذهبي حتى تلدي فلما ولدت أتته بالصبي في خرقة قالت: هذا قد ولدته قال اذهبي فأرضعيه حتى تفطميه فلما فطمته أتته بالصبي في يده كسرة خبز فقالت: هذا يا نبي الله قد فطمته وقد أكل الطعام فدفع الصبي إلى رجل من المسلمين ثم أمر بها فحفر لها إلى صدرها وأمر الناس فرجموها فيقبل خالد بن الوليد بحجر فرمى رأسها فتنضح الدم على خالد فسبها فسمع نبي الله ﷺ سبه إياها فقال: «مهلا يا خالد فو الذي نفسي بيده لقد تابت توبة لو تابها صاحب مكس لغفر له» ثم أمر

بها فصلى عليها ودفنت (١) رواه مسلم ح ٢/٤٣٨٦.

توبة مالك بن دينار – رحمه الله –

- العابد الزاهد الذي كان في أول أمره على السكر والمكر يقول - رحمه الله - رزقني الله بنتا أحببتها حبا جما ثم توفيت وهي تلعب بين يدي فحزنت حزنا شديدا عليها وطال حزني وأخذت أتذكر أيامي معها ثم من شدة الحزن أحضرت الخمر فشربت حتى خررت صريعا ولما نمت رأيت رؤيا أن القيامة قد قامت ورأيت أهوالها وأن الناس تجري وأنا أجري وأحس بلهيب النار من خلفي فلما التفت وإذا هو ثعبان عظيم ينفث على ظهري وكلما أسرعت في الجري أسرع خلفي واشتد بي الكرب والتعب والخوف حتى رأيت جبلا وحيدا فيه شرفات وفتحات وفيه بنيات فلما رأيته اتجهت إليه فلما رأينني تلك البنيات صرخن يا فاطمة أدركي أباك فقالت أبي وأشارت إلى الثعبان فوقف ثم مدت يدها وصعدت إليها وجلست هي بين يدي وقالت يا أبتاه: {أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾} [الحديد: ١٦]، عدة مرات ثم أفقت من نومي وإذا بي أسمع المؤذن ينادي لصلاة الفجر (حي على الصلاة حي على الفلاح) فتبت إلى الله وتوضأت واتجهت إلى المسجد وإذا الإمام الشافعي يقرأ في الصلاة قول الله تعالى: {أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ} [الحديد: ١٦] فالحمد لله الذي منّ علي بالتوبة بعد غفلتي ورقادي قبل يوم مماتي.

(من قصص التائبين) – المعاصرين –

نماذج من قصص التائبين والخارجين من الفن:

وإتماما للفائدة أعرض عليكم من خلال هذا العنصر بعض القصص والأحداث - على ما فيها - لأولئك الذين خرجوا من هذا الوسط، ومن هذا المجال، ثم أعقب عليها ببعض المعالم والقضايا المهمة، التي أحببت أن أبرزها في أذهانكم.

يوسف إسلام

لعل من الأسماء المشهورة عند الجميع اسم ذلك المغني البريطاني، الذي كان اسمه " كات استيفنز " ثم أسلم، وسمي بـ يوسف إسلام، وأذكر أن هذا الرجل قد زار المملكة، وأجرت معه جريدة الجزيرة مقابلة مطولة، وكذلك نشرت عنه مجلة النور الكويتية مقالاً طويلاً مترجماً، أقتطف منه قولها: إن هذا الرجل كان مغنياً، يسمعه الملايين من المعجبين به، واشتهر بأغانيه العاطفية والشعبية، وقد قام بجولات عديدة لإقامة الحفلات الموسيقية في أمريكا وأوروبا والبرازيل وغيرها، وحقق هذا الرجل شهرة عالمية واسعة.

ويصف الرجل موسيقاه التي كان يتعاطاها خلال فترة جاهليته بأنها كانت تعبيراً عن الشعور بالظلام الذي يحس به، ويقول: إنه اختار عنوان " خطوات في الظلام " لآخر عمل له قام به عام ١٩٨٤م، وقال: إن تلك الأعمال تسجل فترة كان يشعر فيها بأنه يسير في مكان مظلم لا يعرف حقيقته، ويقول: منذ وقت طويل بدأت أبحث عن السعادة والهداية والسلام؛ ولذلك كتب على غلاف التسجيل " إن روحي ظمأى إلى الحقيقة ".

وبداية تعرف هذا الرجل بالإسلام كانت عام ١٩٧٦م، حين عاد أخوه من القدس، فأهداه نسخة من القرآن الكريم، ومنذ ذلك الوقت بدأ يوسف إسلام - لاحقاً - يتردد على مسجد في لندن متنكراً لا يعرفه أحد، ولشدة ما كانت دهشة المسلمين حين عرفوا أن هذا الرجل الغريب الذي يتردد على المسجد هو " كات استيفنز " الذي أصبح فيما بعد يوسف إسلام! ويقول هذا الرجل: إنه ظل فترة - بعد ما تعرف على الإسلام - يمارس بعض الأعمال الفنية والأغاني والموسيقى وغيرها، ثم يقول: بدا لي أن استمراري في هذا العمل لم يكن يؤدي إلى نتيجة، فإنه لابد لي من أحد أمرين: إما أن أتخصص في هذا العمل الذي أجد فيه هوايتي ورغبتي وهو الغناء والموسيقى، وإما أن أتخلى عن هذا العمل لأتفرغ للإسلام والعمل للإسلام.

وبعد ما أعلن هذا الرجل إسلامه اختار الطريق الأخير، وهو أن يترك الفن والغناء إلى غير رجعة بإذن الله، ويتفرغ للدعوة إلى الله عز

وجل والتعرف على الإسلام.

وفعلاً سار في هذا الطريق، وزار عدداً من البلاد الإسلامية كالمغرب والسعودية وغيرها، وبعد ما عاد إلى بلده بريطانيا بدأ يمارس نشاطاً إسلامياً قوياً، إذ أسس مدرسة تستقبل أولاد المسلمين، وذلك في مقاطعة في شمال لندن اسمها مقاطعة برنت ويدرس في هذه المقاطعة ما يزيد على مائة وأربعين طفلاً، يتعلمون فيها تعاليم الإسلام، وظل الرجل متجهاً إلى الصلاة والصيام وقراءة القرآن، وشغل وقته في هذه الأعمال المفيدة.

كذلك فكر الرجل في أن يسجل أشرطة أناشيد إسلامية للصغار وغيرهم، تكون بعيدة عن الموسيقى وعن كل ما حرم الله عز وجل.

وهذه القصة التي عاشها وشهدها هذا البطل المسلم يوسف إسلام تكشف عن جوانب مهمة: أن هذا الرجل صرف جهده الذي كان يصرفه في الغناء، إلى الإسلام وإلى الدعوة إلى الله عز وجل وإلى تعليم أولاد المسلمين، وإلى الدعوة إلى الله عز وجل في وطنه، مع أن الرجل بطبيعة الحال لم يكن مسلماً قبل ذلك، وإنما هداه الله عز وجل إلى الإسلام؛ فتخلى عن هذا النشاط الذي أحس بأنه يتناقض مع المبادئ التي آمن بها، ولذلك يقول: إنه شعر أن أمامه أحد طريقين: إما أن يتجه بكليته إلى الإسلام، ويرفض هذا اللون من الفن، وإما أن يستمر في هذا الأمر.

ومعنى ذلك أنه لن يكسب في الجانب الآخر شيئاً، لكن الله عز وجل وفقه لاختيار الطريق الصحيح، طريق الإسلام.

وبعد ذلك أدرك أنه حتى الموسيقى يرفضها الإسلام؛ فصار يفكر في إعداد أناشيد إسلامية للصغار سالمة حتى من هذه الموسيقى.

مارلين مونرو:

ولعل هذه القصة - وإن كانت قصة رجل مسلم - تذكرنا بقصة تلك المرأة التي كان اسمها " مارلين مونرو "، وكانت ممثلة مشهورة في الولايات المتحدة، بل في العالم.

هذه المرأة بعد ما كسبت الأضواء، والشهرة، وملايين المشاهدين والمشاهدات في أنحاء العالم، وكان الناس يتصورون أنها أسعد امرأة، وجدت منتحرة في غرفتها، وبعد البحث والتفتيش وجدوا في صندوق المحفوظات في أحد البنوك في نيويورك، وجدوا ورقة أو رقعة مكتوبة بخطها، وهي نصيحة تقدمها هذه الممثلة لإحدى الفتيات التي كانت تسألها عن رأيها في أقرب طريق إلى الشهرة، وإلى النجاح في هذا العمل الذي هو التمثيل، وتقول في هذه الرسالة التي كتبتها لتلك الفتاة: احذري من يخدعك بالأضواء! إنني أتعس امرأة في العالم! إنني أتعس امرأة على ظهر هذه الأرض! لم أستطع أن أكون أماً، إن سعادة المرأة الحقيقية في الحياة العائلية الشريفة الطاهرة!.

وبطبيعة الحال هذه المرأة التي انتحرت لم تكن امرأة مسلمة كما ذكرت لكم، لكن في انتحارها وهي في أوج مجدها الفني دلالة كبيرة على أن كثيراً من النفوس تتطلع إلى الفرار من هذا الجحيم، الذي يسمى أحياناً بالوسط الفني.

مارشيلا

أما الممثلة الإيطالية " مارشيلا " فإن الله عز وجل قد هداها إلى طريق الإسلام، وأعلنت إسلامها، وسمت نفسها فاطمة محمد عبد الله، ولعل في هذا الاسم دلالة على أنها تعد أن فاطمة بنت النبي ﷺ هي المثل الأعلى لها؛ لذلك اختارت اسمها ليكون الاسم الجديد لها.

تقول هذه المرأة: أسلمت من أجل البساطة والسماحة، فمشهد الناس الطيبين يدخلون إلى ساحة المسجد المتواضع، ويصلون في خشوع؛ لقد فعل ذلك في نفسي فعل السحر، وحرك كوامن كانت مترسبةً في أعماقي، إنني أحس أنني كنت مسلمة حتى قبل أن أعلن إسلامي، وتقول: أنتم في بساطة تؤمنون بالله عز وجل، وبالرسول ﷺ وباليوم الآخر، وأن الرسول ﷺ ما هو إلا بشر اختاره الله تعالى ليبلغ الرسالة إلى الناس، وكما فهمت فإن القرآن ينظم حياة الناس حتى يعيشوا في سعادة وتعاون وإخاء، بعيداً عن المظاهر الكاذبة، ومظاهر التكلف والرياء.

تقول هذه المرأة: أحس كأنني ولدت من جديد، وخرجت من أعماقي تاركة غلافي القديم.

إنها تحس بأن جسدها التي كانت تستخدمه في جذب أنظار المشاهدين أنه كان غلافاً قديماً قد تخلت عنه، ولبست غلافاً جديداً بعد ما شهدت أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله.

ثم تقول: اسألوا الذين كانوا يعرفونني: كم كانت دهشتهم كبيرة حين أدركوا مدى السعادة التي كنت أحس بها بعد ما دخلت في الإسلام، ونطقت الشهادتين؟!

هالة الصافي:

وهناك خبر عجيب ومؤثر، نشرته المجلة العربية عن إحدى المشتغلات في هذا المجال، وهي " هالة الصافي " وهذا الخبر أقرؤه عليكم؛ لما في عباراتها ولحروفها من القوة والتأثير: - تقول في أسلوب مؤثر عبر لقاء صحفي معها: في أحد الأيام كنت أؤدي رقصة في أحد فنادق القاهرة المشهورة، وشعرت وأنا أؤدي هذا العمل بأنني عبارة عن جثة، ودمية تتحرك بلا معنى، ولأول مرة أشعر بالخجل، وأنا شبه عارية أرقص أمام الرجال ووسط الكئوس، فتركت المكان وأسرعت، وأنا أبكي في هيستريا حتى وصلت إلى حجرتي وارتديت ملابسي، وانتابني شعور لم أحسه طيلة حياتي التي بدأتها منذ كان عمري خمس عشرة سنة - تعني حياتها الفنية - فأسرعت لأتوضأ وصليت، وساعتها شعرت لأول مرة بالسعادة والأمان، ومن يومها ارتديت الحجاب رغم كثرة العروض وسخرية بعضهم، وأديت فريضة الحج، ووقفت أبكي لعل الله يغفر لي الأيام السوداء.

وتختم قصتها المؤثرة قائلة: هالة الصافي ماتت، ودفن معها ماضيها، أما أنا فاسمي سهير عابدين، ربة بيت، أعيش مع ابني وزوجي، ترافقني دموع الندم على أيام قضيتها من عمري بعيداً عن خالقي، الذي أعطاني كل شيء ولم أعطه أي شيء، إنني الآن مولودة جديدة، أشعر بالراحة والأمان بعد أن كان القلق والحزن صديقي رغم الثراء، والسهر، واللهو!

وتضيف: قضيت كل السنين الماضية صديقة للشيطان، لا أعرف سوى اللهو والرقص، أمتع الناس، كنت أعيش حياة كريهة حقيرة، وكنت دائماً عصبية، الآن أشعر أنني مولودة جديدة، أشعر أنني في يد أمينة تحنو علي وتباركني يد الله سبحانه وتعالى.

وبغض النظر عما في كلماتها من عبارات لا نوافقها عليها، نتحفظ عليها، مثل قولها: الله الذي أعطاني كل شيء، ولم أعطه أي شيء، فالله تعالى ليس بحاجة لنا لنعطيه شيئاً، فالله تبارك وتعالى إنما يريد منا أن نقدم لأنفسنا فحسب.

كذلك قولها: إنها تشعر أنها في يد أمينة تحنو عليها هي يد الله تبارك وتعالى، مع أن مقصودها ظاهر ومعروف، وبغض النظر عن هذه الألفاظ والعبارات فإن في هذه القصة من الدلالة القوية على تأثر هذه المرأة ورجوعها إلى الله تبارك وتعالى ما فيها، ونسأل الله تعالى لها، ولجميع التائبين والتائبات أن يثبتهم على الطريق المستقيم.

شمس البارودي:

هناك ممثلة أخرى مشهورة، وهي شمس البارودي التي هي الأخرى لفتت أنظار ملايين من المشاهدين في العالم الإسلامي، وكان لها دور كبير في انحرافهم.

هذه المرأة تابت إلى الله عز وجل، وقد أجرت معها إحدى المجلات مقابلة ذكرت فيها قصة توبتها، وكيف أنها كانت في بيت محافظ إلى حد ما، وبعد ما تخرجت من الدراسة الثانوية كانت على مفترق طرق، لكنها اختارت اللحاق بمعهد الفنون؛ بسبب أن معدلها قليل، ثم تركته واتجهت إلى التمثيل.

وتقول: إنها كانت تحس أنها تجر جراً إلى هذا الميدان، وأنها قد مثلت أدواراً كثيرة وهي غير راضية عنها، وبعد ما استنار قلبها أصبحت ترفض هذه الأدوار أول الأمر، وتحافظ على الصلاة، ولا تقوم إلا بأدوار محددة بصحبة زوجها، ثم تطور بها الأمر فاتجهت إلى بيت الله الحرام، وأدت فريضة الحج والعمرة، وبعد ما ذهبت إلى المسجد النبوي تقول:

إنها انتابتها في داخل المسجد نوبة بكاء طويلة، استمرت معها لوقت طويل، وكان من حولها يحفون بها ويغبطونها على هذا الوضع الذي يقولون عنه: إن الله تبارك وتعالى قد فتح عليها، وبعد هذه النوبة من البكاء صممت على ارتداء الحجاب على رغم معارضة من حولها، وعدم وجود من يعينها، وعلى ترك هذا الميدان الذي هو ميدان التمثيل تركاً نهائياً.

وهذه المرأة أصبحت تؤدي دوراً طيباً في التأثير على بعض من يفكرن في اللحاق بموكب التائبات، وهذه المرأة تتحدث عن الانفصام الذي كانت تحسه بين شخصيتها الحقيقية وشخصيتها المتكلفة التي كانت تؤديها أمام أعين المشاهدين.

تقول: كنت أحس بانفصام بين شخصيتي الحقيقية وبين الدور الذي أؤديه أمام أعين المشاهدين.

جين فوندا:

وهناك مثل أخير أضربه، وليس لامرأة مسلمة، لكنه لممثلة أمريكية شهيرة اسمها جين فوندا، وهذه المرأة من أشهر الممثلات اللاتي قمن بأدوار رديئة، وسيئة، ومغرية للمراهقين.

هذه الممثلة أصدرت تصريحاً تطالب فيه بالحد من تيار الفساد والانحلال الخلقي الذي يجتاح الولايات المتحدة الأمريكية، وحذرت من مغبة إباحة نشر الكتب القذرة والأفلام البذيئة، وطالبت بحظر نشر هذه الأشياء، وقالت: إننا إن لم نحظرها فإننا سنشهد انهيار هذه الأمة، أية أمة؟! إنها أمريكا، تقول هذه المرأة: يجب المبادرة في الحال بتعقب وكف أيدي الذين يتاجرون بالفساد الخلقي وتقديمهم للمحاكمة.

إن هذه المرأة تطلق صيحة ليس من منطلق الحفاظ على الأخلاق والقيم الإسلامية لا! بل من منطلق الحفاظ على الأمة الأمريكية، وأن هذا التيار الإباحي الذي ينتشر عبر المجلات وعبر الأفلام يعرض هذه الأمة القوية للخطر؛ ولذلك تطالب بمنع نشر هذه الكتب والأفلام البذيئة والرديئة، ومحاكمة الذين يقومون بها، وبالتالي تطالب بمعاقبة المؤسسات

الكبيرة التي تؤثر في المجتمع حتى تكف عن مخاطبة الغرائز، وتتجه نحو البناء الأخلاقي.

معالم حول هذه القصص والنماذج

أيها الإخوة: هذه القصص والنماذج توقفنا على عدد من المعالم، يجب ألا تغيب عن البال، وإنني حين أعرض هذه الأمثلة ليس كل ذلك حفاوة بالفنانين والفنانات، فإن هؤلاء إنما هم مسخ من البشر لا يستحقون أي حفاوة بهم، وإن كنا نعلم جميعاً أن التائب إلى الله عز وجل يستحق من المسلمين جميعاً العناية به، لكن تخصيصهم بالعناية ليس له وجه، فليس المقصود هو مجرد العناية بهؤلاء، لكن المقصود أمر وراء ذلك هو أن الهداية بيد الله وحده فمن أقبل على الله أقبل الله عليه: {وَٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ زَادَهُمۡ هُدٗى وَءَاتَىٰهُمۡ تَقۡوَىٰهُمۡ ١٧} [محمد: ١٧].

- أسأل الله أن يتوب علينا وعلى جميع المسلمين في جميع أقطار الأرض وأن يتقبل منا توبتنا إنه أرحم الراحمين جواد كريم.

* * *